الزهراء

ج ٥ : م ١ — ١٥ جمادى الاولى ١٣٤٣

مدينة الزهراء

ـ بمناسبة التنقيب الجاري الآن عن آثارها ـ

نحن وآباؤنا ـ عبد الرحمن الناصر وعرش الاندلس ـ الخلافة بين بغداد وقرطبة سبب بناء الزهراء وذكر موضعها ـ صفة الزهراء ومكنوناتها ـ كيف بنيت الزهراء ملك اسباني بين يدي الخليفة في الزهراء ـ الحياة في الزهراء ـ خراب الزهراء

﴿ نحن وآباؤنا ﴾

أقفُ اليوم مع قرائي أمام أثر من آثار العرب عظيم ، لرجل من رجال العرب عظيم

أقفُ معهم أمام ذلك البناء البديع ، بل أمام الحضارة التي أبدعته ، بل العزيمة التي أوجدت تلك الحضارة .. لا لأجل أن نفتخر بالعزّ الذي كان لآبائنا ، فان في ظل هذا الفخر الكاذب اعترافاً بالذلّ مؤلماً ؛ وانما أردتُ باستعراض هذه الصفحة من تاريخنا أن نتذكر الى أيّ مدًى من قيادة زِمام مدنيّة العالم استطعنا أن نصل في ثلاثمائة سنة فقط ، بعد أن كنا وراء العنصرين الروماني والفارسي مئات المراحل في مظاهر العمران

﴿ عبد الرحمن الناصر وعرش الاندلس ﴾

انقضى القرن الثالث الهجري في ديار الاندلس بانقضاء عهد صاحبها الامير عبد الله ابن الامير محمد ابن الامير عبد الرحمن الاوسط ابن الامير الحَكَم ابن الامير هشام ابن الامير عبد الرحمن الداخل صقر قريش ابن معاوية ابن الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان . ففي شهر ربيع الاول من سنة ٣٠٠ انتقل هذا الامير الاموي الى رحمة ربه وله من أولاده الذكور أشبالٌ عشرة مامنهم الاَّ المعمُّ المخول في طبقات السؤدد ، الدخَّال الخرَّاج في مذاهب المجد ، بل كان أعمامهم ـ اخوة الامير الراحل ـ لايزالون في عالم الوجود ، تُظلُّهم زرقاء الاندلس وتقلهم خضراؤها . لكن البطولة التي لا تتقيَّد بسن ، والعظمة التي لا تعترض سبيلَها سلسلةُ المراتب ، أوصلت الى كرسي الملك فتى في مقتبل العمر هو الامير عبد الرحمن بن محمد ـ حفيد صاحب الاندلس المتوفَّى ـ فتصدَّى الفتى الى الامارة واجتازها دون أعمامه وأعمام أعمامه ، أيام كانت الاندلس « مضطربة بالمخالفين ، مضطرمة بنيران المتغلبين . فأطفأ تلك النيران ، واستنزل أهل العصيان ، واستقامت له الأندلس في سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من أيامه »

﴿ الخلافة بين بغداد وغرناطة ﴾

وكان بنو العباس بن عبد المطلب رحمهم الله يُعانون في تلك الحقبة من الزمن نتائج الغلطة السياسية الكبرى التي ارتكبوها في صدر دولتهم ، وهي تحويل وجوههم عن سُلالة الرجال الذين بنوا دولة الاسلام بأيديهم ، وشادوا دعائمها على جماجمهم ؛ فانصرف العباسيون عن هؤلاء الغُرِّ الميامين من وجوه عدنان وقحطان ، إلى أوشاب من الغلمان والمماليك « لم يكن لهم ذلك العقل الذي راضَهُ الاسلام ، والقلب الذي هذَّبه الدِّين . بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل ، يحملون ألوية

الظلم لبسوا الاسلام على أبدانهم ولم ينفذ شيء منه إلى وجدانهم » كما قال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله . فغربت شمس السلام عن دار السلام ، والتاث أمر الخلافة ، واستبدّ الموالي من الترك على أمراء المؤمنين . وطارت الأنباء سنة ٣٢٠ من بغداد عاصمة المشرق إلى غرناطة عاصمة المغرب بأن مؤنساً — وهو أحد أولئك الموالي — أراد أن ينتقم لنفسه من فشله قبل ثلاثة أعوام في خلع مولاه الخليفة المقتدر بالله [1] فسار من الموصل الى بغداد بجنوده وسفكوا دم أمير المؤمنين وأسقطوا هيبة الخلافة من نفوس الشعوب الاسلامية والدول الاجنبية

لما رأى عبد الرحمن الناصر — وهو ذلك الرجل العظيم بشخصه ، العظيم ببيته ، العظيم بدولته — أنّ مقام الخلافة تدلّى بعبث الموالي الى هذا الدرك ، استخار الله تعالى في أخذ هذا العبء على عاتقه ، وأقره على ذلك حكماء قرطبة والاندلس وأئمة العلم فيها ، فتلقّب بألقاب الخلافة ، وكان لها في عاصمة الاندلس رَونقٌ أستمدّته من العلم والعمران ، وهيبةٌ حاطتها بها انتصارات الجيوش وعزّة السلطان ؛ فوطئت عساكرُ الاندلس من بلاد الافرنج أيام أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ما لم تطأه في أيام سلفه ، ومدّت اليه أمم أوربا من وراء الدروب يد الاذعان ، وأوفدوا عليه سفراءهم وهداياهم من رومةَ والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعنّ في مرضاته ، ووصل الى سدّته الملوك من أهل جزيرة الاندلس المناخين لبلاده فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه [2] . واستيقظت في صدره الكريم ، رُوحُ جدّه قصيّ بن حكيم ،

(١) في أواسط شهر المحرم من سنة ٣١٧ عمد مؤنس ونازوك الى خلع المقتدر بالله ، فلم يمض بضعة أيام على خلعه واعتقاله في منزل مؤنس حتى ثار الرجالة والشغب على الحكومة الجديدة منادين « يامقتدر يامنصور » وعثروا بنازوك فقتلوه وصلبوه وكان مخموراً قد شرب طول ليلته . ثم اقتحموا دار مؤنس وفكوا اعتقال المقتدر بالله وأعادوه الى منصب الخلافة

(٢) ان هيبة امير المؤمنين الناصر وحرمته في قلوب ملوك الافرنج لم تكن مقصورة على أيام حياته بل استمرت الى مابعد ذلك . حتى ان أردون بن ادفونش ملك أمم الجلالقة لما جاء

فنزع الى أمنية التوحيد والتجميع ، واستمال الى طاعته بني إدريس أمراء العدوة وملوك زناتة والبربر وغيرهم كما وصف ذلك ابن خلدون في تاريخه ٤ : ١٣٧–١٤٣

﴿ سبب بناء الزهراء ، وذكر موضعها ﴾

بعد مرور ربع قرن على تبوُّء أمير المؤمنين الناصر سدَّة مملكة الاندلس ، وكانت انقضت السنة الخامسة لخلافته ، ماتت سرّية له فتركت مالا كثيراً [1] فأمر الخليفة أن يُفَكَّ بذلك المال أسرى من المسلمين ، وطَلَب في بلد الافرنج أسيراً فلم يجد ، فشكر الله على ذلك . وكانت الرغبة في العمران مستقرَّة يومئذ في قلوب أهل الدولة العربية وعقولهم ، فقالت له (الزهراء) زوجته : « اشتهيتُ لو بنيتَ لي مدينةً سميتها باسمي وتكون خاصةً لي » . فكان ذلك سبب بناء الزهراء التي يبحث الاسبانيون اليوم في أنقاضها . وهي مدينة من ضواحي قرطبة كرسي المملكة ، انشئت تحت جبل العروس من قبلة الجبل شماليَّ قرطبة ، وكانت كأنها الغادة البيضاء في حِجْرِ ذلك الجبل الاسود [1] يجري بينها وبين قرطبة نهر عظيم [2] ، وهو الوادي الكبير الذي تقوم الزهراء على ضفته [3] ، وبين المدينتين مسافة كانت تتراوح بين ثلاثة أميال وسبعة أميال ، بحسب اتساع دائرة العمران أو تقلُّصها في كلتيهما ، ولا سيما في قرطبة التي كانت أبقى على الدهر

الى قرطبة عارضا ولاءه على أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله كما سيأتي في هذا المقال طلب عند وصوله الى باب قرطبة ومروره بين (باب السدة) و (باب الجنان) من القصر أن يدلوه على مكان رمس الناصر ، فأشاروا له الى ما يوازي موضعه من داخل القصر في الروضة ، فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ، ثم ردّ قلنسوته الى رأسه (انظر نفح الطيب للمقري ١ : ١٨١–١٨٢ المطبعة الازهرية بالقاهرة سنة ١٣٠٢)

(١) محاضرة الابرار لابن العربي (١ : ١٨٩–١٩٠ الطبعة الحجرية بالقاهرة سنة ١٢٨٢ و ١ : ١٤٧–١٤٨ طبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٤)

(٢) نفح الطيب (١ : ٢٢٨) (٣) تاريخ الاندلس (بالتركية) للمرحوم ضيا باشا (١ : ١٢٤ الطبعة الثانية بالقسطنطينية سنة ١٣٠٥)

فلم تُصَب من عينه بما أصيبت به جارتها . قال ابن سعيد (في الحلة المذهبة في حلى مملكة قرطبة) نقلا عن الشقندي : « ان العمارة اتصلت في مباني قرطبة والزهراء بحيث أنه كان يُمشَى فيها بضوء السرج عشرة أميال [1] »

﴿ صفة الزهراء ومكنوناتها ﴾

قال ضيا باشا : « كان بناء الزهراء أعجوبةَ الدهر التي لم يخطر مثلُ خيالها في ذهن بَنّاء منذ برأ الله هذا الكون ، ولا تمثَّل رسمٌ كرسمها في عقل مهندس منذ وُجدت العقول » اه

اذا خرج الانسان من الباب الشمالي لقرطبة في الطريق الذي تقع على يساره رُصافة صقر قريش عبد الرحمن الداخل ، سائراً على ضفاف الوادي الكبير بين غابات غبياء ، ورياض فيحاء ، لا يلبث ساعتين أو ثلاثاً حتى يلوح له بابٌ عظيم الهيئة ، دقيق الصنعة جميلها ، وهو باب مدينة الزهراء ، الشارعُ الى الصحراء . ويتصل بالباب من جانبيه سور عظيم يحيط بالمدينة وفيه ثلاثمائة برج حربي . فاذا دخل من هذا الباب أفضى الى حدائق غنّاء ، وميادين واسعة الارجاء ، تطلّ عليها من قصور أعيان المملكة ورجال الدولة مبانٍ سامية . فيستمرّ سائراً بين هذه المجالي للمجد والجمال حتى يصل الى (باب الأقباء) وهو أول أبواب القصر ، ومن ورائه مظاهر السؤدد وصنوف المحاسن ، يليها (باب السدّة الأعظم) . وفي صدر هذه الفراديس (السطحُ المرمَّد) المشرف على الروضة ، المباهي بمجلس الذهب والقبيبة [2] ، وعجيب ماتضمنه من اتقان الصنعة ، وفخامة الهمة ، وحسن المستشرف ، وبراعة الملبس والحلّة : ما بين مرمر مسنون ، وذهب مصون ،

(١) نفح الطيب (١ : ٢١٢) (٢) كان للصرح المرمد قبيبة اتخذ لها الناصر قراميد ذهب وفضة أنفق عليها مالا جسيما ، نقل الفتح في المطمح (ص ٤٠) أن القاضي منذر بن سعيد دخل على أمير المؤمنين الناصر فوعظه وأنبه ينهي الله تعالى عن مثل ذلك ، فبكى الناصر وامر بنقض سقف القبيبة وأعاد قراميدها ترابا

وعمد كأنها أفرغت في القوالب ، ونقوش كالرياض ، وبرك عظيمة محكمة الصنعة وحياض ، وتماثيل عجيبة الاشخاص ، لا تهتدي الاوهام الى سبيل استقصاء التعبير عنها . وفي السطح الممرّد من جانب القبلة (الابهاء المذهبة) ، يتصل بها (الفُصلان) عن يمينها ويسارها ، ويلي ذلك (المجلسان) شرقاً وغرباً

وان القاعات الكثيرة التي احتوتها الابهاء المذهبة وما اتصل بها من قاعات الفصلان والمجلسين لا تكاد تمايز الا بتنوّع مشاهدها ، واختلاف مناظرها . لذلك كانت صالة كلها لسرير الملك ، فكان هذا السرير في (البهو الاوسط) من الابهاء القبلية المذهبة يوم احتفل أمير المؤمنين الحَكَم المستنصر بأخذ البيعة لنفسه عند وفاة أبيه عبد الرحمن الناصر رحمه الله ، ثم كان سرير الملك في (المجلس الشرقي) من مجالس السطح الممرّد يوم تشرّف ملكُ الاسبان أردون بن أدفونش بالمثول بين يدي أمير المؤمنين المستنصر وحظي بتقبيل يده في حفلة قلّما شهد الدّهر مثلها كما سترى بعد

وعلى ذكر (المجلس الشرقي) أقول انه كان يسمى (المؤنس) وفيه (بيت المنام) . وفي وسطه نُصب (الحوض الاخضر المنقوش) الذي جلبه أحمد الفيلسوف مع ربيع الاسقف القادم من بيت المقدس ، وهو حوض مذهب ، وفيه نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان ، وأقيم عليه اثنا عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدرّ النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة أسد الى جانبه غزال الى جانبه تمساح وفيما يقابله ثعبان وعُقاب وفيل وفي الجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحدأة ونسر ، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها

وفي الزهراء المجلس المسمى (قصر الخلافة) وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ الصافي لونه ، المتلوّنة أجناسه . وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك .

وجعلت في وسطه (اليتيمة) التي أتحف الناصرَ بها (أليونُ) ملك القسطنطينية وكانت قوائم هذا القصر من الذهب والفضة . وفي وسط مجلس الخلافة حوض عظيم مملوء بالزئبق . وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والآبنوس المرصَّع بالذهب وأصناف الجوهر قامت على سواري من الرخام الملوّن والبلّور الصافي . وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار . وكان الناصر اذا اراد أن يفزع أحداً من أهل مجلسه أومأ الى أحد مواليه فيحرّك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق من النور ويأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل لكل من في المجلس أن المحلّ قد طار بهم ما دام الزئبق يتحرّك

وللقصر مسجد جامع مؤلف من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة ، طوله من القبلة الى الجوف ـ حاشا المقصورة ـ ٣٠ ذراعاً ، وعرض البهو الاوسط من أبهائه من الشرق الى الغرب ١٣ ذراعاً ، وعرض كل بهو من الابهاء الاربعة المكتنفة له ١٢ ذراعاً . وطول صحنه المكشوف من القبلة الى الجوف ٤٣ ذراعاً ، وعرضه من الشرق الى الغرب ٤١ ذراعاً . وجميعه مفروش بالرخام الخزي ، وفي وسطه فوّارة يجري فيها الماء . فطول هذا المسجد أجمع من القبلة الى الجوف ـ سوى المحراب ـ ٩٧ ذراعاً وعرضه من الشرق الى الغرب ٥٩ ذراعاً . وطول صومعته في الهواء ٤٠ ذراعاً وعرضها ١٠ أذرع في مثلها . ومنبره بديع في نهاية الحسن ، حُظرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة

وقد اختار أمير المؤمنين الناصر للخطابة على منبر الزهراء خطيباً من أتقى الناس لله وأجهرهم بكلمة الحق وأصرحهم وعظاً لامير المؤمنين بلا محاباة ولا شطط ، وهذا الخطيب هو القاضي منذر بن سعيد الذي كان كلامه العجيب يبهر العقول جزالة ، ويملأ الاسماع جلالة . وكان له في انتقاد أعمال الدولة كلام

يلقيه من منبر الزهراء على مسمع الخليفة في محضر الناس فيتلقاه الخليفة بالرضى والخشوع لله ، ولو ألقي مثله على أعرق الملوك ديموقراطيةً في الامم الاخرى لكان أقلّ ما يعاقب به قائله العزل

وكانت (خزانة الكتب العلمية) في الزهراء أيام أمير المؤمنين المستنصر من أعظم خزائن الدنيا . روى تليدٌ الفتى القيّم على هذه الخزانة فيما حدّث عنه الحافظ أبو محمد بن حزم أن عدّة الفهارس التي فيها تسمية الكتب ٤٤ فهرسة في كل فهرسة ٢٠ ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين فقط [1] . قال المقري : كان المستنصر عالماً نبيها صافي السريرة . أخذ العلم عن قاسم بن اصبغ وأحمد بن رحيم ومحمد بن عبد السلام الخشني وزكريا بن خطاب وأكثر عنه ، وأجاز له ثابت ابن قاسم وكتب عن خلق كثير سوى هؤلاء ، وكان يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي باذلاً فيها ما أمكن من الاموال حتى ضاقت عنها خزائنه . وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك . وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب أحوَذياً نسيج وحده ، وكان ثقة فيما ينقله . وقلّما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة أو نظر في أيّ فن كان ، ويكتب نسب المؤلف ومولده ووفاته ، ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الاّ عنده . قال ابن خلدون : وأرسل ألف دينار من الذهب العين ثمنا لنسخة من كتاب الاغاني سنة تأليفه ـ وكان نسبُ مؤلفه أبي الفرج في بني أمية ـ فظهر كتاب الاغاني في الاندلس قبل أن يظهر في العراق موطن المؤلف

وفي الزهراء (البحيرة العظمى) ـ غير ما فيها من البرك المتعدّدة ـ وفي مياهها من صنوف الاسماك والحيتان الالوف الكثيرة . وكانوا يقدّرون عدد

(١) التكملة لابن الابار (ص ٢٧٦) وابن خلدون (٤ : ١٤٦) ونفح الطيب (١ : ١٨٤)

الخبز الذي يُرمى لهذه الحيتان والاسماك باثني عشر الف خبزة في كل يوم ، وينقع لها من الحمّص الاسود ستة أقفزة يوميا

وقصور الحرم في الزهراء هي غير ما وصفناه من مجالس الدولة ، وقد تزيد عن هذه فخامة وعظمة . وقد نصّ ابن العربي في محاضرة الابرار على أن صورة (الزهراء) زوجة الناصر كانت منقوشة على باب القصر ، والمعقول أن هذا النقش كان على القصر الخاصّ بالحرم

وفي الزهراء حمامان أحدهما للقصر ، والثاني للعامة

وفيها محلاّت للوحش فسيحة الفناء . ومسارح للطيور مظلة بالشباك

وفيها دور الصناعة والآلات : آلات السلاح للحرب ، والحلي للزينة . ومصانع التماثيل والنحت والزخارف ، وغير ذلك من المهن والصناعات

ولم تخلُ الزهراء في جانب هذه الفراديس من سجن يسمى (المطبق) ذكره صاحب (روضة الازهار) فيما نقله عنه المقّري في نفح الطيب (١ : ٢٨١)

﴿ كيف بنيت الزهراء ؟ ﴾

أراد أمير المؤمنين الناصر رحمه الله أن يؤسس بنيانه على التقوى ، فزان الزهراء بمسجدها الجامع الذي تقدّم وصفه . نقل صاحب نفح الطيب (١ : ٢٦٤) عن ابن الفرضي وغيره انه كان يعمل في جامع الزهراء من حذّاق الفعلة كل يوم ألف نسمة منها ٣٠٠ بنّاء و ٢٠٠ نجّار و ٥٠٠ من الاجراء وسائر الصناع ، فاستتمّ بنيانه وإتقانه في ثمانية وأربعين يوماً ، وهي سرعة لا يكاد يكون لها نظير . وقد وضع المنبر في مكانه من هذا المسجد عند اكماله يوم الخميس لتسع بقين من شعبان سنة ٣٢٩ هـ وأول جماعة صليت فيه صلاةُ المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان ومن الغد صلى الناصر فيه الجمعة . وأول من خطب فيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى

وقال المؤرخ ابو مروان ابن حيان صاحب الشرطة : ألفيت بخط ابن دجون الفقيه قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس « بدأ عبد الرحمن الناصر بعمارة الزهراء أول سنة ٣٢٥ وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور المعدّل ٦٠٠٠ صخرة سوى الصخر المنصرف في التبليط فانه لم يدخل في هذا العدد . وكان يخدم في الزهراء كل يوم ١٤٠٠ بغل منها ٤٠٠ زوامل الناصر ومن دواب الاكرية الراتبة للخدمة ١٠٠٠ بغل لكل منها ثلاثة مناقيل في الشهر وكان برد الزهراء من الجير والجص في كل ثالث من الايام ١١٠٠ حمل »

ونقل صاحب نفح الطيب (١ : ٢٤٦) عن مؤرخ آخر أنه كان يتصرّف في عمارة الزهراء كل يوم عشرة آلاف رجل

وفي نفح الطيب (١ : ٢٦٤) وجلب اليها الرخام من قرطاجنة وافريقية وتونس. وكان الذين يجلبونه : عبد الله بن يونس عريف البنّائين وحسن وعلي بن جعفر الاسكندراني ، وكان الناصر يصلهم على كل رخامة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية بثمانية دنانير . واشتملت الزهراء على ٤٣١٦ سارية ما بين كبيرة وصغيرة وحاملة ومحمولة ، فكان عدد ما جلب منها من افريقية ١٠١٣ ومن رومة ١٩ وأهدى اليه ملك القسطنطينية ١٤٠ وسائرها من مقاطع الاندلس تركونة وغيرها . والرخام المجزّع من رية والوردي والاخضر من افريقية . وعدد مصاريع أبواب الزهراء صغارها وكبارها ١٥١٣ باباً كلها ملبسة بالحديد والنحاس المموّه

وكان المتولي للبنيان ابنه الحكم لم يتّكل فيه الناصر على أمين غيره . واتصل بنيان الزهراء أيام الناصر ٢٥ سنة شطر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها وكانت ١٥ عاماً وأشهراً . وقدّروا النفقة عليها زمن الناصر بثلاثمائة الف دينار كل علم أي سبعة ملايين ونصفاً زمن الناصر . وقدّروا مجموع النفقة بثمانين مُدْياً وسبعة أقفزة من الدراهم القاسمية والمُدْي مكيال يسع تسعة عشر صاعاً

والصاع أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما

ونقل صاحب نفح الطيب (١ : ٢٦٤) أنه لما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهي في الجلالة والفخامة أطبق الناس على أنه لم يبن مثله في الاسلام ألبتة ، وما دخل اليه أحد من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة من ملك وارد ، أو رسول وافد ، وتاجر وجهبذ — وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة — إلا وكلهم قطع أنه لم ير له شبهاً ، بل لم يسمع به ، بل لم يتوهم كون مثله . حتى أنه كان أعجب ما يوصله القاطع الى الاندلس في تلك العصور النظر اليه والتحدث عنه

﴿ ملك اسباني بين يدي الخليفة في الزهراء ﴾

في أوائل سنة ٣٥١ وهي السنة الثانية لخلافة أمير المؤمنين المستنصر أخذ يتأهب لحرب الملك الاسباني أردون بن أدفونش . فلما علم أردون بذلك سار الى باب المستنصر في عشرين من وجوه أصحابه غير طالب اذن ولا مستظهر بعهد ، ثقةً منه بنبل أخلاق العرب وشرف نفوسهم . فخرج لاستقبالهم هشام المصحفي في جيش عظيم كامل التعبية . وبعد ثلاثة أيام من وصولهم أقيمت حفلة مثول الملك الاسباني بين يدي الخليفة ، فبثت الجيوش ، وعرضت العدد والاسلحة ومظاهر الزينة ، وقعد الخليفة على سرير الملك في (المجلس الشرقي) من مجالس السطح الممرد في الزهراء . ثم أتى محمد بن طميس بالملك أردون راكباً هو وأصحابه الخيول المطهمة تحف به جماعة من نصارى وجوه أهل الذمة بالاندلس : يؤنسونه ويبصّرونه ، فيهم الوليد بن حيزون قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة وغيرهما . فلما دخل الملك الاسباني مدينة الزهراء من بابها الشارع الى الصحراء رأى فرسان الحشم وطبقات الجند والرماة منظمين أكمل تنظيم ومصطفين موكبا اثر موكب من (باب المدينة) الى (باب الاقباء) . ومنه الى

خارج (باب السدة الاعظم) فرسان العبيد ، وعلى نفس باب السدة البوابون وأعوانهم في أجمل بزّة وأفخر مظهر ، وفي الميادين التي وراء باب السدة الاعظم رجالة العبيد عليهم الجواشن والاقبية وعلى رءوسهم البيضات الصقلبية وبأيديهم التراس الملوّنة والاسلحة المزينة وقد انتظموا صفين الى آخر الفصل ، وبعد هؤلاء صفوف العبيد الفحول شاكين في الاسلحة الرائقة والعدة الكاملة ، يليهم الفتيان الصقالبة لابسين اللباس الخاص بهم وبأيديهم السيوف ، مصطفين في الفصلان ، وبعدهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين في السطح المتصل بالفصلان . ووراء ذلك المجلس الشرقي وفيه أكابر الفتيان يمينا وشمالاً الى آخر البهو وفي صدره سرير الملك وعليه الخليفة المستنصر وفي جانبيه عظماء المملكة وأشرافها وخول العلماء والخطباء وأكابر القواد

وكان على الملك الاسباني ثوب ديباجي رومي أبيض وبليوان من جنسه وفي لونه وعلى رأسه قلنسوة رومية منظومة بجوهر . فدخل بين صفي الترتيب يقلب الطرف في نظم الصفوف ويجيل الفكر في كثرتها وتظاهر أسلحتها ورائق حليتها ، فراعه وأصحابه ما أبصروه ، وصلّبوا على وجوههم ، وتأمّلوا ناكسي رءوسهم غاضّين من أجفانهم قد سكرت أبصارهم . فلما وصلوا الى باب الاقباء أول قصر الزهراء الرسمي ترجل جميع من كان خرج الى لقائه وتقدّم الملك أردون وخاصة قوّامه على دوابهم حتى انتهوا الى باب السدّة الأعظم ، فأمر القوامس بالترجل هنالك والمشي على الاقدام فترجلوا ، ودخل الملك اردون وحده راكباً مع محمد ابن طميس ، فأنزل في برطل البهو الأوسط من الابهاء القبلية التي بدار الجند على كرسي مرتفع مكسوّ الأوصال بالفضة فقعد اردون على الكرسي وقعد أصحابه بين يديه . وخرج الاذن للملك اردون من الخليفة المستنصر بالدخول عليه فتقدّم يمشي وأصحابه يتبعونه الى أن وصل الى السطح الممرّد ، فلما قابل المجلس الشرقيّ

الذي فيه المستنصر وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقي حاسراً ، إعظاماً لما بان له من الدنوّ الى السرير . واستُنهِض فمضى بين الصفّين المرتبين في ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى الى باب البهو . فلما قابل السرير خرّ ساجداً سويعةً ، ثم استوى قائماً ، ثم تقدم خطوات وعاد الى السجود ووالى ذلك مراراً الى أن قدّم بين يدي الخليفة وأهوى الى يده فناوله إياها وكر راجعاً مقهقراً على عقبه الى وساد ديباج مثقل بالذهب جعل له هنالك ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير . فجلس عليه والبُهر قد علاه . وأُنهض خلفه من استدنى من قوّامه وأتباعه فدنوا ممتثلين في تكرير الخنوع ، وناولهم الخليفة يده فعبلوها وانصرفوا مقهقرين فوقفوا على رأس ملكهم . ووصل بوصولهم وليد بن حيزون قاضي النصارى بقرطبة فكان الترجمانَ عن الملك اردون ذلك اليوم . فأطرق الخليفة عن تكليم الملك أثر قعوده أمامه وقتاً كيما يفرخ روعه . فلما رأى أن قد خفض عليه افتتح تكليمه فقال : « ليسرّكَ إقبالك ، ويُغبطْكَ تأميلك . فلدَيْنا لك من حسن رأينا ، ورحب قبولنا ، فوق ماقد طلبتَه »

فلما ترجم له كلام الخليفة تطلق وجهه وانحط عن رتبته فقبّل البساط وقال : « أنا عبد أمير المؤمنين مولاي ، المتورّكُ على فضله ، القاصد الى مجده ، المحكم في نفسه ورجاله فحيث وضعني من فضله ، وعوّضني من خدمته ، رجوت أن اتقدم فيه بنيةً صادقة ، ونصيحة خالصة »

فقال له الخليفة « أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا . وسينالك من تقديمنا لك ، وتفضيلنا اياك على أهل ملتك ، ماينغبطك وتتعرّف به فضل جنوحك الينا ، واستظلالك بظل سلطاننا »

فعاد اردون الى السجود عند فهم مقالة الخليفة وابتهل داعياً . ثم بعد محاورات أخرى قام للانصراف مقهقراً لايولي الخليفةَ ظهره ، وقد تكنفه

الفتيان فأخرجوه الى المجلس الغربي في السطح الممرّد وقد علاه البهر وأذهله الروع من هول ماباشره وجلالة ما عاينه . وفي المجلس الغربي أجلسوه على وساد مثقل بالذهب ، وأمر الحاجب جعفر فصبت عليه الخلع التي أمر له بها الخليفة وهي درّاعة منسوجة بالذهب وبرنس مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت ملأت عينه تجلّة فخرّ ساجداً وأعلن بالدعاء . ثم خلع الحاجب على أصحابه واحداً واحداً على قدر استحقاقهم

﴿ الحياة في الزهراء ﴾

لقد ألّف أسلافنا في وصف الزهراء والحياة فيها مؤلفات فضلاً عن الابواب والفصول التي عقدوها في كتبهم لذلك . وحسبنا في هذه العجالة أن نذكر لك أن عدد الفتيان الذين كانوا في خدمة الخليفة وأهل بيته في الزهراء ١٣٧٥٠ دخالتهم من اللحم كل يوم ـ سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وأنواع السمك والحوت ـ ١٣٠٠٠ رطل . وعدة النساء في قسم الحرم من هذا القصر ٦٣١٤ امرأة بين صغار وكبار وخدم . وعدد الصبيان الصقالبة ٣٧٨٧ على ماذكره المؤرخون. وكان هؤلاء جميعاً ـ من حرم الخليفة الى الجواري والفتيان ـ يخلصون الخدمة والمحبة لباني الزهراء ويصرّفون وجوه الرأي في ادخال السرور عليه . قال صاحب نفح الطيب (١ : ١٦٨) أراد أمير المؤمنين الناصر الفصد فقعد بالبهو في المجلس الكبير المشرف بأعلى مدينته الزهراء ، واستدعى الطبيب لذلك فأخذ الآلة وجسّ يد الناصر فبينما هو اذ أطل زرزور (طائر) فصدعلى اناء ذهب بالمجلس وأنشد :

أيها الفاصد رفقاً بأمير المؤمنينا
انما تفصد عرقاً فيه محيا العالمينا

فاستظرف أمير المؤمنين ذلك وسرّ به وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلّم الزرزور فذكر له أن السيدة الكبرى أم وليّ العهد صنعت ذلك وأعدّته لهذا الأمر ، فوهب لها ما يزيد على ثلاثين ألف دينار

﴿ خراب الزهراء ﴾

ظلت الزهراء فردوس الارض زمن أمير المؤمنين الناصر وابنه المستنصر وحفيده هشام المؤيد ، حتى أن الوزير المنصور بن أبي عامر سجن في مطبقها الحاجب جعفراً بن عثمان المصحفي زمن المؤيد . ولكن لما نشبت الثورة المشئومة على هذا الخليفة الضعيف يوم الثلاثاء ٢٦ جمادى الثانية سنة ٣٩٩ احتجاجاً على جعله ولاية العهد الى عبد الرحمن بن أبي عامر دون رجال بني أمية وسائر بيوت قريش اقتحم الشعب قرطبة والزهراء ، فأسقطوا هشاماً ، وأزالوا دولة بني عامر ، ونهبوا قصور المملكة ، حتى أن بعض ما نهب في هذه الثورة وصل الى بغداد وغيرها من البلاد المشرقية ، وبيع في اسواقها . نقل صاحب نفح الطيب (١ : ٢٧٠) عن ابن الرقيق أن ذلك كله كان على يد عشرة رجال لخامين وجزارين وزبالين

بهذه الحادثة خلت الزهراء من أهلها ، غير أن مبانيها ظلت قائمة بعد ذلك . وفي قلائد العقيان (ص ١٠ ـ ١١ بولاق سنة ١٢٨٣) ما يدلّ على أن أعيان المملكة في قرطبة كانوا يقصدون الزهراء للتنزه في قصورها ورياضها زمن المعتمد بن عباد (بين سنتي ٤٦١ و ٤٨٤) بل كانت لا تزال بقايا منها زمن ابن العربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨) فقد زارها وقرأ على بابها شعراً في رثائها . ويؤكد ضيا باشا في تاريخ الأندلس (١ : ١٢٥) أن الاسبانيين هم الذين أعملوا فيها معاول التخريب فمحوا آثارها وقضوا على بقاياها . ولله الأمر من قبل ومن بعد

الغد

غيوبٌ محجوبه ، وحُجُبٌ مضروبه ، وأقدارٌ مكتوبه
أعمارٌ موهوبةٌ أو منهوبه ، وأرزاق مجلوبةٌ أو مسلوبه
بريد الملكِ القهّار ، موعده حَواشي الاسحار ، أو غُرّةُ النهار
حملتِ الفجاءاتِ نجائبُه ، واشتملتْ على المستجدّات حقائبُه ، وبلغتْ مُستقرَّها مُغرِّباتُه وجَوائبُه
أقبلَ ففُضَّ المختوم ، وظهر المكتوم ، وانفجر المحتوم ؛ وإذا مَتاعٍ وبشائر ، وإذا دَولاتٌ ودوائر
واعلمْ - يابن الأيّام - أن الغدَ أعدَّه الله لك خيرَ ما أعدَّه ، ومدَّه لك أيْمَنَ ما مدَّه
هو الشخص الثالث ، في رواية الأيام والحوادث ، والخَلَفُ من صاحبيه والوارث (١)
هو معقد الآمال ، وموعد استئناف الأعمال ، ومَرمَى همّة المال
تنام الانفُس وفي إتيانها منه شكّ ، وفي أيمانها منه صكّ
فاعمل له ما استطعت ، وانتظره أتى أو لم يأت . وقل سبحان الذي أتى به ، والذي هو قادر على طَيّ كتابه ؛ يوم يأتيه أمرُه فلا يبرز من حجابه

شوقي

(١) شبه الحياة برواية أبطالها ثلاثة : الأمس واليوم والغد

أرز الجنوب

للشيخ بشير جنبلاط ـ المتخلص للامير بشير الشهابي وعمد علي باشا الكبير ـ قصر في (المختارة) من لبنان الجنوبي ، مطل على غابات من شجر الارز ، يترقرق بينها ماء نبع البارود الذي أوصله صاحب القصر نفسه الى قرية (المختارة) . وقد زار خليل بك مطران هذه البقاع في الصيف الماضي فألهمته ذكريات تاريخ قصرها ، ومحاسن الطبيعة فيها ، قصيدة كعقد الجوهر ، انتظمت فيه هذه الدرر :

أرزَ الجنوب أسلمْ عزيزَ الجانبِ ... والّقَ الدُهورِ وأنت أبقى صاحبِ
اللهُ في أدواحـك النضرِ التي ... تَرِدُ المَعينَ من الجماد الناضب
أوَ ترضخُ الأنداءَ مما أقبلت ... تروي العطاشَ به صدورُ سحائب
التاجُ فوقَ التاج من أغصانها ... حتي ترصّعه العُلى بكواكب
والنورُ في أوراقها متنخّلٌ ... يصفو ذروراً في عيون الراقب
ولربّما غشيَ الضبابُ رءوسَها ... فترى مُلفّعةً ببيض غياهب
أرزٌ تراه كباذخ الابراج إن ... تنظرْ اليه من مَدًى متقارب
واذا بعـدتَ رأيتَ شاماتٍ على ... خَدِّ كُميتٍ لونُه أو شـاحب
أعززْ به وبجيرة حفّوا به ... سُمَحاءَ أهلِ مَفاخرٍ ومَناقبِ
هم بالحميّةِ خير من يرجو الحمى ... لسَداد خَـلاتٍ ودَرْء نوائب
بُسلاء إن تدعُ الحفيظةَ لم تجد ... في الحيّ غـير الشمريّ الواثب
صُوّام ألسنة عن القول الخنا ... قُوّامُ أفئدة لفعل الواجب
إن أزمعوا لم يرجعوا ، أو صمّموا ... بلغوا النجاح ، وما لووا بمصاعب
إني صَدَقتهمُ المديحَ بما بهم ... وأقول شرُّ الشعر شعرُ الكاذب

خليل مطران

تصحيح القاموس المحيط

القاموس المحيط للمجد الفيروزابادي أكثر كتب اللغة انتشارا في أيدي الادباء ، وهم يتزلون ما رسم فيه منزلة النص في الاعتماد عليه والاحتجاج به . وقد طبع في بولاق ثلاث طبعات أفضلهن الطبعة الثانية سنة ١٣٠٣ . ورغم العناية التي بذلت في تصحيح تلك الطبعة وضبطها فان العلامة المحقق صاحب السعادة أحمد تيمور باشا وجد فيها مائة وثمانين غلطة وينفاً ، فجمعها في رسالة طبعت في مطبعتنا ، وستصدر منها بعد أيام قليلة . ونحن ننقل فيما يلي انموذجا من هذا التصحيح :

﴿ الإِمدّان والإِمدّان ﴾

جاء في مادة أ م د (ج ١ ص ٢٧٢ س ٢٤) « والإِمـدّان كإِسْحِمان واضْحيان موضعٌ والمـاء على وجه الارض ومالها رابع » . وضبط (الامدّان) بتشديد الدال وهو لا يوافق وزن اللفظين المذكورين بعده فانهما بكسر فسكون فكسر بوزن إفعلان وان أُهمل هنا ضبط الثاني اكتفاءً بالاول فالصواب (الإِمّدان) بكسر الأول وتشديد الميم المكسورة كما ضبط في نسخة بولاق المطبوعة سنة ١٢٧٢ ونسخة الميمنية المطبوعة سنة ١٣١٩ ونسختين مخطوطتين عندنا وهو الضبط المنصوص عليه في اسم الموضع بمعجم البلدان لياقوت واقتصر شارح القاموس فيه على تشديد الميم . أما ذكر الاضحيان بعد الاسحمان وهو بوزنه فقد يتبادر أنه تكرار ولكن من يتأمل العبارة يظهر له أنه لا يريد بذكره تكرار الوزن بل مراده أن هـذه الثلاثة بوزن واحد ولا رابع لها بهذا الوزن في كلام العرب

﴿ تنبيه ﴾ قد يعترض بان (الامّدان) بتشديد الميم وان كان هو الصواب في اسم الموضع ومتعيناً بالوزن الذي ذكره المؤلف بعده فان في اطلاقه على الماء

الذي على وجه الأرض نظراً لقول ياقوت وشارح القاموس « وأما الإمِدّان بكسر الهمزة والميم وتشديد الدال فهو الماء النز على وجه الارض »[1] واستشهادهما عليه بقول القائل :

فأصبحن قد أقهين عني كما أبت حياض الامدّان الظباء القوامح[2]

وصنيع المؤلف يقتضي كونه بوزن واحد في المعنيين . قلنا لا جدال في كونه مشدد الميم في اسم الموضع بنص المؤلف بالوزن ونص ياقوت والشارح بالعبارة وأما ضبطهما له في الماء النز بتشديد الدال فيوافقه ما في اللسان غير أنه قال فيه أيضاً « وقيل هو الإمّدان بتشديد الميم وتخفيف الدال » وقال المؤلف في (م د د) « والامدّان بكسرتين الماء الملح كالمدّان بالكسر والنزّ وقد تشدد الميم وتخفف الدال » ومنه يعلم وروده بالضبطين في هذا المعنى فلا اعتراض على المؤلف في اختياره أحدهما هنا . وانما الذي يصحّ الاعتراض به عليه أن ذكره الامّدان في هذه المادة يدلّ على اصالة همزته فوزنه على هذا فعّلان لا إفعلان الذي أراده بالوزن المذكور بعده والصواب ان همزته زائدة كزيادتها في الوزن فكان حقّه أن يذكر في (م م د) لا هنا وقد تنبّه لذلك العلامة ابن الطيّب ونبه عليه في حاشيته على القاموس ونقله عنه تلميذه السيد مرتضى في الشرح بل قد أعاد المؤلف ذكره في (م م د) فقال « إمّدان بكسر الهمزة والميم المشدّدة كإفعلان موضع »

---

(١) هي عبارة ياقوت وأما عبارة شارح القاموس فنصها « فأما الامدّان بتشديد الدال فهو الماء الذي ينزّ على وجه الأرض »

(٢) الظباء بالموحدة هي الرواية الواردة في شرح القاموس ومادّة (م د د) من اللسان ونسخة مخطوطة عندنا من معجم البلدان والذي في نسخة معجم البلدان المطبوعة في ليبسك ونسخة مخطوطة عندنا من شرح السيرافي على سيبويه (الظماء) بالميم والرواية الأولى أصح وألصق بالمعنى . وفي مادة (ق ه ي) من اللسان (الهجان) وهي رواية أخرى والبيت لزيد الخيل أو لابي الطمحان

﴿ خماعة بنت جُشَم - وهي القِرِّيَّة ﴾

وفى مادة ق ر ر (ج ٢ ص ١١٥ س ٤) « والقِرِّيَّة كجرِّيَّة الحوصلة ولقب جُماعة بنت جُشَم أمّ أيوب بن يزيد الفَصيح المعروف » . ورُويت (جماعة) بضم الجيم وتخفيف الميم ووردت بالجيم أيضاً في نسخة الشرح والصواب أنها (خُماعة) بالخاء المعجمة قال المؤلف في (خ م ع) « وبنو خُماعة بنت جشم كنانة بطن » وفي الشرح أنّها هي القِرِّيّة وهي خماعة بنت جُشم بن ربيعة بن زيد مناة وأنشد :

أبوك رضيع اللؤم قيس بن جندل وخالك عبد من خماعة راضع

ومعنى الراضع هنا اللئيم . قلنا ووزن البيت يدل على تخفيف الميم وهو الموافق لنص المؤلف على أنها كنانية ولكنه خالف في كتابه تحفة الأبيه فيمن نسب الى غير أبيه فقال « أيوب بن القِرِّية بكسر القاف والراء المشددة وبالمثناة التحتية آخره هاء وهو لقب أمه واسمها خُماعة مثال رُمّانة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة » ونص أيضاً على هذا الضبط فيها الشيخ أحمد بن خليل اللبودي الدمشقي في تذكرة الطالب النبيه بمن نسب الى أمه دون أبيه فلعلها وردت بالضبطين

﴿ خُمَعَة بنت الخُسّ الايادية ﴾

وفي مادة خ س س (ج ٢ ص ٢٠٨ س ١٤) « الخَسُّ بَقْل معروف وخَسّ الحمار السِنْجار وبالضم ابن حابس رجل من إياد وهو أبو هند بنت الخُسّ أو هو من العماليق والايادية هي جُمَعة بنت حابس كلتاهما من الفصاح » . وذكر الشارح أن الصواب ان ابنة الخس المشهورة بالفصاحة واحدة وهي من إياد واختلف في اسمها فقيل هند وقيل جمعة ومن قال إنها بنت حابس فقد نسبها

الى جدها كما حققه غير واحد انتهى . ورويت (جمة) في المتن والشرح بالجيم والصواب أنها خُمَة بالخاء المعجمة على ماحققه العلامة السيد محمود شكري الآلوسي ونشر في مجلة لغة العرب التي كانت تصدر في بغداد (ج ٢ ص ١٢١) ونص عبارته « اليوم وجدت فرصة لنقل ماذكرته لكم فذهبت الى خزانة كتب مدرسة السليمانية وراجعت شرح حديث أم زرع للقاضي عياض وذكر في هذا الشرح على سبيل الاستطراد نبذة يسيرة من كلام من اشتهرن بالفصاحة من نساء الجاهلية فقال ومنهن خُمَة بضم الخاء وفتح الميم والعين المهملة كما ضبطه صاحب العباب والمحكم وابن الشجري في كتابه ، ما اتفق لفظه واختلف معناه . يقال خم في مشيته أي ظلع وبه خُماع أي ظلع والخامعة الضبع الى أن قال واختلف في نسبها والمشهور أنها ابنة الخس أخت هند وقيل غير ذلك » انتهى

﴿ عَجْلَى فرس لَبِيد ﴾

وفي مادة ح ج ل (ج ٣ ص ٣٤٤ س ١٦) « وقول الجوهري تَحْجُلُ اسم فرس تصحيف والصواب عَجْلَى كسكرى » . وجاء في (مادة ـ خ ب ل ـ ج ٣ ص ٣٥٤ س ١٣) « وأمّا اسم فرس لبيد المذكور في قوله :

تكاثر قُرْزُلٌ والجَوْن فيها وعَجْلَى والنعامة والخيالُ

فبالمثناة التحتية ووهم الجوهري كما وهم في عجلى وجعلها تَحْجُل » يريد أنه وهم في الخيال فجعله الخيال بالموحّدة كما وهم في عجلي فجعلها تحجل . ورُويت (عجلى) بالعين المهملة في المادّتين ووجدناها كذلك في ثلاث نسخ مخطوطة وفي النسخ المطبوعة بمصر وفي نسخة الشارح أيضاً وقد نصّ في (ح ج ل) على أنّها بالعين . وزعم المفتي محمّد سعد الله في القول المأنوس في صفات القاموس المطبوع بالهند (ص ١٣٨) أنّها تحريف من النُسّاخ والصواب (حَجْلَى) بالحاء

المهملة وقد وجدناها كذلك في مادّة (ح ج ل) في نسخة مخطوطة والنسختين المطبوعتين بكلكتّه سنة ١٢٣٢ و ١٢٧٠ ولكنّها وردت بالعين في مادّة (خ ب ل) من هذه النسخ الثلاث . والرّاجح عندنا أنّها بالعين كنصّ شارح القاموس في (ح ج ل) وقد زاده ايضاحا في (ع ج ل) فراجعه وانما ذكرناه مع صحة ما بالنسخة للتنبيه عليه وبيان وهم المقتي في هذا التوهيم

الفصول والغايات - للمعرّي

نشرنا في الجزء الأول من (الزهراء) نموذجا من كتاب (الفصول والغايات لأبي العلاء المعرّي) الذي عثرنا في مكة على المجلد الاول منه بخط قديم يكاد يكون معاصراً للمؤلف . والى القراء نموذجا آخر منه . قال أبو العلاء :

يا بُغاةَ الآثام ، ووُلاةَ أمور الانام . مَرتَع الجور وخيم ، وغيُّه ليس بحميد . والتواضع أحسن رداء ، والكبر ذريعة المقت ، والمفاخرة شر كلام

كلنا عبيد الله فما بال الرجل يقول « عبدي فلان » والعبودية في عنقه ألزم له من طوق الحمامة ، ومُؤتي المُلكِ مُلكَهُ قاصرٌ الصعلوك على عدمه . وكاسي الجميل حُلّة الجمال ، هو سالبُها القبيحَ . فاحمدِ أيها البَهِجُ خاصكَ ، ولا تغمِط سواك ، فبيد الله العطية والحِرمان

يتيه الأنسيّ والعَرْفة أصنع من الآدميّ : تتخذ لنفسها بيتاً من حُطام الشجر ورُفات النبات يعجب له الراءون ويعجز عنه العاملون . والجارسة تبنى من الشمع أحسن مسكن ، وتودعه طيب الأري ، وزمازمُها تسبيحٌ للهم الحكمة من أراد . فما فضيلة الصُّنَع اذا اتخذ قميصاً للحرب كبارد الحبب أو بُرد الحُباب * غاية

ذكرى الوطن

— نظمت في أواخر غياب طويل بانكلترا —

مِنْ مَغَانِي الهوى ومِنْ مَهْدِ أُنسي ... جَدِّدا لي الصِّبَا فما البعدُ يُنسي
وانْهَرا جانياً تَصَدَّى لجَرحي ... وادَّعى أنَّهُ الوفيُّ المؤَسِّي
واسْمَحَا لي بقُبلةٍ مِنْ ثَراها ... فثراها ملاذُ رُوحي وحِسِّي
واذكراني بمُرقصٍ مِنْ نظيمٍ ... حسبتهُ الأطيارُ أنغامَ (قَيْسِ)
وابْعثا والنَّسيمِ لي بسَمَاتٍ ... عشقتها الأزهارُ مِنْ وجهِ شَمْسي
كم نَهَلْتُ الحياة منها ولكنْ ... طرَّحتني النَّوي فلم تبق كأسي
واسألا ذابلاً غرستُ وقُصَّا ... أيَّ سُقمٍ حكتهُ مرآةُ نَفْسي؟
توأمانِ الزَّمانُ فرَّق عُمْراً ... بيننا وهو عاجزٌ لا يُقسِّي
وأصيلاً تلألا (النيلُ) سَمْحاً ... أينما زُرتُه بضبغةِ ورسِ
يُلهمُ الشِّعرَ والدِّقاقَ المعاني ... مِنْ نَميرٍ يُخالُ كوثرَ خلسِ
وربوعاً أُعزُّها عن وجودي ... هل أصاختْ الى صلاتي وهَمْسي؟
كنتُ ان جُستُ بينها مستهاماً ... غازلتني الغصون تَلْثُمْنَ رأسي
ورشفت السُّلافَ مرأى خدودٍ ... ناضراتٍ ونامياتِ المجَسِّ
ثائراتٍ وما حَمَلْنَ سلاحاً ... آسراتِ الشُّجاعِ مِنْ قبلِ جبسِ
مِنْ حُرُوبِ الوُرُودِ فيها سلامٌ ... وسواها يَنُّ تحت الدِّرفسِ
السلوُّ الصحيحُ عنها حرامٌ ... وطفيفُ الغرامِ معدودُ رجسِ

مِنْ بساتينها ملاعبُ نورٍ وَقَفُوها على ظباءٍ وخنسِ
حرستها الأُسودُ رغمَ جراحٍ رُبَّ جرحٍ أضاف بأساً لبأسِ
وحبيباً قضى بطبِّ اغترابي والمحبُّ العليلُ يَفنى بنُكسِ
ثوران الجبالِ أهدأُ رَوْعاً مِنْ فؤادِ المحبِّ مِنْ فقدِ عُرسِ !
ايه يامُنْحِني بنفيي عذاباً حسبكَ اللهُ في سهامٍ وقوسِ !

٭٭٭

وطني لو صبرتُ في البعدِ عنهُ مِتُّ آيُهُ بحِسِّي ولَمْسي !
وطني لو عَدَتْه أقسى العوادي ماتعدَّتْ على يقيني وحدسي !
وطني لو دُعيتُ أن أفتديهِ ماتمنَّيتُ غيرَ تخليدِ رَمْسي !
وطني لو سُئلتُ في البَعثِ عنهُ شِمْتُهُ ضاحكاً بجنّاتِ قُدْسِ !
وطني مَفزَعي أنا منهُ بَعْضٌ كيفَ أنساهُ وهو أصلي وأُسّي ؟!
كيف أرثيهِ وهو رغمَ التَّنائي مُلهمي، مُنعشي، غفورٌ لِيأسي ؟

٭٭٭

تتوالى السنونُ والعهدُ باقٍ بين حُلوِ المُنى ومُرِّ التأسّي
وأذوقُ العجيبَ حولي رضيًّا وشَقائي بفضلِ هذا التَّحسّي
ويُطيلُ الزمانُ حبلَ اغترابي وحنيني الى اللقاء الأمَسِّ
وبكائي بكاءُ لهفانَ عانٍ حظُّهُ يومُهُ فينزو لأمسِ
ما جلالُ (التاميز) الاّ جلالاً مُذكياً لوْعتي لأبناء جنسي
مَنْ يبعْ ذمّةً بعاجلِ رِبْحٍ جرَّ حَتْماً عليهِ بيعةَ وكسِ

وجبانٌ مَنْ يستطيبُ التلهّي ... وذووه على مآتم نَحْس
وحيالي من المظالمِ عظاتٌ ... ينحني عندها الزمانُ لِدَرْسِ !
شامخاتُ الطباعِ من قِدَمِ الصا ... بِ مُعجزاتٌ بصمتها غيرُ خُرْسِ !
وبناءُ الخلالِ تَخسأُ عنهُ ... صاعقاتُ البلى لجنٍّ وأنسِ !
أمةٌ لم تطق من الشمس مُلكاً ... فاعتلتْ همّة على كلّ كرسي!
أمةٌ تبتني لأخلاق خُلدٍ ... فخرُها النُّبلُ لا زهاءُ الدّمقس
في مقامِ الفداء يَرخصُ غالٍ ... عندها دونَ أن يُعدَّ كبَخْسِ
أمةٌ هزّها اليقين وهمّتْ ... فسمتْ فوقَ مجدِ رومٍ وفُرْس
فتحتْ دولةَ الهواء وسادتْ ... أبحُرَ الأرضِ بين سَبْحٍ وغَسّ
طال قَبْسُ العلومِ فيها ولكنْ ... ماتوانتْ وماشكتْ طولَ قَبْسِ
وأقامتْ ممالكاً وأدالتْ ... من عُروشٍ وأحرزتْ أيَّ تُرْسِ
سَخّرتْ بالدّهاء شَعباً فشعباً ... أفتلُ الحكمِ بين لينٍ ويُبْسِ
كلّما حُمّلتْ ثقالَ المعالي ... لم تَضعْ فِتْرَةً بوهمٍ ونَعْسِ
ثلثُ عمري مضى وما زلت فيها ... حائراً دائراً كميّادِ شَمْس
أتمنّى وما التمنّي بمُجْدٍ ... لبلادي ، كذاكَ أضحي وأمسي
ما حوتْ من رجاحة في نساءٍ ... ورجالٍ كأنّهم كلُّ نفْسِ
صلحتْ تُربةً وجادتْ سماءٌ ... فسمتْ عن دُنا الاحطّ الأخسّ
فعليَّ المفاءُ إنْ ضِقتُ ذَرْعاً ... بنداءٍ لدَحْضِ جهلٍ وهجس

* * *

إنَّ مصرَ الفتاةَ بنتُ عُصُورٍ ... صقلتْها وراقبتْها كغرْس
لم يزلْ منْ غرامِ فرعونَ باقٍ ... تتحدَّى به الجمالَ الفرنسي
هي نجوى الشعوبِ أصلاً ونسلاً ... لم يقمْ عندها جلالٌ لطمْسِ
رهنُها مُفحِمُ المآثرِ شتّى ... ناطقاتٍ بوعظِ مِينا ورَمْسِي
وشهودُ الفخارِ في كلِّ صخرٍ ... ألبستْها القرونُ أروعَ لبسِ
لم تزل تمنحُ الحضارةَ وحْياً ... يُخجلُ الغاصبَ الكميَّ ويخسي
حسبُ داعي النهوضِ ما جمّعتْهُ ... منْ (صحاحٍ) يُضيء عن غيرليس
ودُئوبٍ أصاب نجوى عُصُورٍ ... في سنينٍ منَ العجائب خمْس

***

يافؤادي الخفوق صبراً قليلاً ... ربَّ خفْقٍ أضعتَ مجهودَ عكْس
سوف تحظَى بقرب مصرَ فتنسى ... ما جنتْه النَّوى بنفْسي وحبْسي
سوف تلقاكَ والمكارمَ فيها ... بدعاءٍ على الفضيلةِ حبْسِ
أمّتي ملكُها حياتي فبعضٌ ... منْ قليلٍ لها جناني وطرْسي!

الدكتور احمد زكي ابو شادي

السوس الناعمة

﴿ أمثال العرب ﴾

حكى أبو عُبيدة ـ فيما حكى عنه أبو حاتم ـ أنه أوصل الى احمد بن سعيد ابن سهل الباهلي أربعة عشر الف مثل عربي : بعضها في الجلود، وبعضها في القطن، وبعضها في القرطاس. فتفرّدت العرب من بين سائر الامم بكثرة الامثال

رسالة (التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم)
لأبي هلال العسكري

حياة ابن خلدون

ومُثل من فلسفته الاجتماعية

محاضرة القاها الاستاذ المحقق السيد محمد الخضر
في جمعية تماون جاليات أفريقية الشمالية بالقاهرة

— ٢ —

تنكر ونشر الدراسات لابن خلدون

حاز ابن خلدون لدى ابن الاحمر رعاية ضافية فجاش الحسد فى نفوس بعض معاديه وطفقوا يسرّون لابن الخطيب مايزلزل ركن الصداقة بينه وبين ابن خلدون حتى اغبرّ صدره وبدا عليه انقباض احسّ به ابن خلدون ، فجعل وجه البلاد فى عينه قاتماً ، ولم يسعه بعد تنكر ابن الخطيب وهو القابض على مقاليد الدولة إلا أن يعتزم على الرحلة . واتفق أن وافته كتب من أبى عبد الله صاحب بجاية يستدعيه للقدوم عليه فاتخذها ذريعة لاستئذان السلطان فى الانصراف الى افريقية دون أن يطالعه على ما كان بينه وبين ابن الخطيب فامتعض فى مبدإ الامر ضنّاً بفراقه ثم ادّكر أن للحنين الى الوطن حكما لا يغالب ، فاذن له بالظعن ، واصدر فى تشييعه مرسوما من املاء ابن الخطيب ، يشهد له فيه برفعة القدر واستقامة السيرة والتحقيق فى العلم ، ويوصى قواد الدولة وأعوانها برعايته واسعافه فى كل حال

سفره الثانى الى بجاية

سافر الى بجاية سنة ٧٦٦ واقيمت له يوم مقدمه حفلة مشهودة فاركب السلطان خاصته لاستقباله وهرع اليه أهل البلد بنفوس متعطشة الى لقائه وانهالوا يمسحون اعطافه ويلثمون يده . فاجتمع له فى هذا الاحتفال اقبال الدولة وانعطاف الامة ،

وهما لا يجتمعان لشخص بانتظام إلا حيث تكون الدولة رشيدة ، واذا كانت الدولة قد تقبل على غير عظيم فان الامة لا تخلع عطفها واجلالها الا على من تقدر عظمته وتثق باخلاصه

ولايته الحجابة لسلطانه بجاية

تقلد ليوم خلا من قدومه منصب الحجابة ، وهي لدى دول المغرب : الاستقلال بادارة شؤون الملك ، والانفراد بالوساطة بين السلطان وبين أهل دولته . بيد أنه استلم زمام السياسة بعد ان نشأت بين السلطان أبي عبد الله وابن عمه ابي العباس صاحب قسنطينة فتنة نفدت التدابير دون اطفائها ، وما برحت تتأجج الى ان كانت عاقبتها قتل ابي عبد الله واستيلاء أبي العباس على بجاية

خرج ابن خلدون باسطاً يد الطاعة الى أبي العباس ولقي منه احتفاء وانعاماً وسرعان ما انكفأت عقارب السعاية به تدب حول السلطان فلم ينشب ان استأذنه في الانصراف فأجاب طلبه بعد تمنع وارتحل حتى عرج على بسكرة لصحبة كانت بينه وبين أميرها احمد بن يوسف بن مزني

انصرافه الى العلم

وما كان يمنحن به ويقاسيه من مشاكسة المنافسين له في مقاعد الرياسة ونصبهم حبائل السعاية به ، ثم تنكر السلطان له بعد الرعاية والاقبال ، صرف قلبه عن التعلق بأسباب السياسة وجعله يفرغ همته في تحقيق العلوم ودراستها . ومن أجل هذا قعد عن السفر الى أبي حمو صاحب تلمسان ، حين استدعاه ليقلده الحجابة وكتابة العلامة ، ووجه اليه أخاه يحيى ليقوم بعمل هذه الوظيفة مكانه

المراسلة بينه وبين الوزير ابن الخطيب

بعث اليه الوزير ابن الخطيب من غرناطة برسائل يشكو فيها مضض النوى ويتلهف على عهد اللقاء. وقلوب الاصدقاء قلما تتصدع بحزازات الوشاية وتعود الى عنفوان ودها الصميم ، ولكن الرقة الدافقة على ذوق ابن الخطيب ، والادب المنسجم فى مزاج خلقه الرصين ، ذهبا بأثر ماسعى به اليه قوم لايفقهون ، ونهضا به الى تأكيد صداقة انتظمت بينه وبين رجل يدانيه علما وأدباً ويضاهيه فى طرق التفكير والعمل لرقي نظام اجتماع

واذا كانت الرسائل مثالا لمنهج الرجلين فى المحاورة ساعات اللقاء فان هذه المراسلة تنبئك ان المجالس التى كانت تعقد بين هذين الوزيرين الخطيرين لم تكن مضمار علم وأدب فقط بل كانت ممتعة بالنظر فى الشؤون السياسية الداخلية والخارجية ، فقد أتى ابن الخطيب فى بعض هذه الرسائل على تفاصيل من أحوال الدولة بغرناطة وألمّ فيها بانباء عن دولة الاسبان فى اشبيلية . وكذلك تجد ابن خلدون تعرّض فى الجواب عن تلك الكتب لحوادث دول شتى فنسق فيها قسطا من الحديث عن شؤون دول تونس والجزائر والمغرب الاقصى والحجاز ومصر . ولو أن علماء الاسلام أخذوا فى هذا السبيل أينما كانوا ، ومدوا جانباً من عنايتهم الى الاطلاع على تصاريف الدول ومجارى سياستها لبلغوا منتهى السؤدد وبرءوا من تبعة وقوع الشعوب الاسلامية فى هذا البلاء المبين

مساعيه السياسية وهو فى بسكرة .

أقام ابن خلدون في بسكرة مقبلا على دراسة العلم ولم ينكث يده مع ذلك من التدخل في شؤون الدولة فكان يشايع أبا حمو صاحب تلمسان حين نهض يجلب بخيله ورجله على بجاية ، فكان وسيلةً الى توثيق عرا الصلة بينه وبين السلطان

أبي اسحاق صاحب تونس وحمل بعض القبائل على مناصرته حتى سار اليه بطائفة من قبيل الذواودة والتقى به فى البطحاء ثم قفل معه راجعا الى تلمسان اذ بلغ اباحمو ان السلطان عبد العزيز صاحب المغرب الاقصى يتحفز للوثوب على تلمسان . ولما اقتربت ساعة استيلائه عليها وأخذ أبو حمو في أهبة الانجلاء عنها الى الصحراء اعتزم ابن خلدون على الارتحال الى الاندلس وحمّله ابو حمو رسالة الى ابن الاحمر صاحب غرناطة فاتصل نبأ سفره بالسلطان عبد العزيز ونمى اليه انه يحمل وديعة الى ابن الاحمر فانفذ اليه سرية اعترضت سبيله فلم تلق عنده ما يحقق هذه التهمة وانقلبت به الى السلطان فلقيه حوالي تلمسان فقضى ليلته فى اعتقال وفى الغد اطلق سبيله فانصرف الى رباط الشيخ أبي مدين ونزل بجواره على قصد التفرغ للعلم ونشر دروه الشائكة بين يدي طلابه

استدعاؤه الى فاس

ولم يزل متمتعا بحياة علمية خالصة حتى استدعاه السلطان عبد العزيز وأوعز اليه فى الخروج الى بلاد رياح ليجمعهم على طاعته ومناصرته فانبعث يعمل فى هذا السبيل بكلمة نافذة ودعاية ناجحة الى ان قضى المأرب وبلغ الغاية المنشودة ، وكان يسعى الى هذه المهمة السياسية وهو مقيم ببسكرة فى جوار أميرها احمد بن يوسف بن مزنى الذى هو صاحب زمام رياح ، وما راع ابنَ خلدون الا ان أخذ حساده ينفثون سموم الوشاية فى اذن احمد بن مزنى فهاجوا غيرته وأوغروا صدره حتى تنفس بالشكوى منه الى صاحب شورى السلطان وترمار بن عريف ورفع صاحب الشورى هذه الشكوى الى السلطان ، فما كان من نظره الا ان استدعى ابن خلدون الى حاضرة فاس ، فخرج بأهله وولده . ولقيه في الطريق نعي السلطان وتولية ابنه الصبي ابي بكر السعيد في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي فدخل فاس

وكان له مع الوزير سابق صحبة نادرٌ عليه من معصرات بره وكرامته فوق ما يحتسب، وظل عاكفاً على التدريس صارفاً همته الى الوجهة العلمية الى أن ظهر السلطان احمد بن أبي سالم على الوزير ابي بكر بن غازي واجتذب مقاليد الامر من يده، ولم يستقر به الحال حتى قام وزيره محمد بن عثمان يدخل عليه الريبة من جانب ابن خلدون ويغريه بالقبض عليه. وتما هذا الوزير بأول من ازدهت به الرياسة وتطوحت به في غرور حتى عمى عليه أن لأعاظم الرجال كابن خلدون تاريخاً باقياً وصحائف لا تغادر صغيرة ولا كبيرة من مجاملة أهل عصره له أو اساءتهم الا أحصتها

عودته الى الاندلس سنة ٧٧٦

قبض عليه السلطان ابن أبي سالم وسرعان ما نهض الى خلاصه الامير عبد الرحمن الذي شارك السلطان في حرب الوزير أبي غازي واتفق معه على أن يستقل بولاية مراكش وأعمالها ولم يطمئن به المقام بعد أن رأى من تنكر السلطان وسوء طوية وزيره ما رأى، فابتغى الوسيلة الى إذن السلطان له بالانصراف الى الاندلس ليتفرغ للعلم ومدارسته في ظل دولة ابن الاحمر الذي أولاه في رحلته الاولى سابغ الكرامة والانعام، ولم يظفر بالجواز الا بعد تسويف وعلى رغم من وزيره ورجال دولته

دخل الأندلس سنة ٧٧٦ فجرى السلطان على عادته من بسط يد الاكرام وانزاله منزلة الاحتفاء والرعاية الى أن وفد على غرناطة مسعود بن ماسي من حاضرة فاس وأبلغ السلطان باغراء من رجال دولتها أن ابن خلدون كان يبذل مساعيه وجاهه في خلاص لسان الدين بن الخطيب [1]، فانقلب عطف السلطان

(١) كان لسان الدين بن الخطيب بفضل ماله من التبحر في العلم والادب والخبرة بمذاهب السياسة قبض على زمام دولة ابن الاحمر وانفرد بالتصرف في شؤونها فشجيت به بطانة السلطان وحاشيته وانسابوا الى السعاية به من كل حدب حتى احس بانها اخذت من السلطان مأخذ القبول فاحتال للتخلص من الاندلس والتجأ الى السلطان عبد العزيز صاحب المغرب الاقصى وبقي في ظل

عليه جفاء وأنسه به وحشة واجلاه الى العدوة من بلاد المغرب الأقصى

وموضع العبرة فى هذه الواقعة انك تقارن بين عودتيه من الاندلس فتجده فى المرة الاولى قفل من غرناطة والسلطان يبسط له يد المجاملة ويودعه بقلب يأسف لفراقه ، ثم هو متوجه نحو بجاية والدولة متأهبة لاستقباله باجمل مايتصور من مظاهر الاحتفاء . وتراه في هذه المرة انصرف عنها والسلطان يكره اقامته وتطوى عنه بساط أنسه ، خرج وهو لايدري أين يلقى عصا التسيار : هذه دولة الاندلس تنفيه من أرضها ، وتلك دولة المغرب الاقصى تلحظه بعين الحذق وترمى من ورائه بسهام الكيد والاذى ، وهذا ابو حمو صاحب تلمسان لم يزل ينقم عليه مشايعته للسلطان عبد العزيز وسعيه في صرف وجوه العرب عنه يوم كان طريدا فى الصحراء . بيد ان ابا حمو كان على روية لايفوتها ان الاخذ فى معاملة رجل خطير كابن خلدون بالرفق والاناة انما توضع فى حساب الحسنات التى ينوه بها التاريخ ويرتفق بها شأن دولته فسمح له بدخول تلمسان فجاءها وقد ذاق من صروف السياسة عذاب الهون فما كان الا ان تجرد للقراءة ولم يشغل وقته بسوى المذاكرة فى العلم ودراسته

وقد يكون انحراق الدولة عن النابغة أو اضطهادها له أشد داعية الى بذله كل مايملك من الجد والاهتمام فى توسيع دائرة معارفه أو الحذق فى صناعة التأليف أو الاستنباط ، فان الكدر الذى قد يثيره تغلبها عن مكانه أو بخسها من قيمته انما يكشفه ارتياح النفس وتمتعها باستطلاع حقائق العلوم التى هى اصفى لذة وابقى سؤددا من نيل الحظوة والقرب من مجالس الامراء

رعايته ثم فى حماية الوزير ابي بكر بن غازى من بعده . ولما استولى احمد بن ابي سالم على حاضرة فاس حبسها فصصناه فى المحاضرة وكان استيلاؤه عليها بمساعدة وموالاة من السلطان ابن الاحمر قام سليمان بن داود يعزي السلطان بالقبض عليه فاودعوه السجن وائتمروا على قتله بدعوى انه وقعت له كلمات فى كتاب المحبة تنطق بزندقته . ثم اوعز سليمان بن داود الى بعض الاوغاد بقتله فهجموا عليه ليلا وقتلوه خنقا فى محبسه .

من عالم غربي الى عالم شرقي

— رسالة تاريخية —

تفضل حضرة صاحب السعادة العالم الجليل أحمد تيمور باشا فأتحف (الزهراء) بالنص الأصلي لكتاب أرسله شيخ المستشرقين العالم الشهير أغناس غولد صهر المتوفى منذ نحو سنتين الى شيخنا العلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري يسأله فيه عن مسألة تاريخية . والكتاب بخط الاستاذ غولد صهر وهذا نصه :

سلامٌ الى صاحب الشرف الباذخ ، والفضل الشامخ . من هو المرجع للاماثل والافاضل ، والحاوي لأقصى معارج الفضائل والفواضل . العالم العلاّمة الشيخ طاهر بن صالح المغربي الجزائري . أدام الله تعالى فضله ، وزاد بقاءه آمين

لله دَرُّ عِصابة نادمتُهم يوماً بجلّق في الزمان الاوّلِ

أما بعد فان الانسان ، مشتقٌ من النسيان . وبدوران الزمان ، عفا في قلبه أثر الاخوان . والاحبّاء والاخلاّء يفرقهم الملوان . ومع ذلك أرجو أنْ ما انمحى من قلبكم خيال صاحبكم المَجَريّ الذي كان يستجير بشامكم في سنة ١٢٩٠ مقتبساً عن أنوار علمائها ، وكثيراً ما تداول بين فضلائها وادبائها ، وصاحبكم يوماً فيوماً مستأنساً بمحاورتكم ومذاكرتكم . وكنا اذ ذاك — أنتم وعبدكم الكاتب — في عنفوان شبابنا ، متبحرَين في العلوم الشريفة ، مستغرقين في بحور الآداب الظريفة . والآن هيهات — بعد ممرّ سبعة وعشرين من الأحوال — وَهَنَ عظمي واشتعل رأسي شيبا . أما والله تعالى ما أندرس ذكركم وذكرُ الصاحبين المنيرين عن نفسي وفؤادي ، مع أني

لقد عيل صبري بعدكم وتكاثرت همومي ولكنّ المحبَّ صبور

ومعتمداً على دوام ما جبل الله تعالى في قلوبنا من المحبّة والمودّة أتجسّر يا أيها الشيخ العلاّمة أن استفهمكم عن مسألة دمشقية لا أجد حلّها في الكتب

التي نحت تصرُّفي مع شدَّة اشتياقي لأزالة شبهتي في تلك المادَّة . فذلك أني قرأت في (خلاصة الحبّي) و (سلك الدرر للمرادي) وغيرهما من الكتب التاريخية وطبقات علماء الاسلام أن الشيخ عبد القادر بن محمد بن سوار المتوفَّى سنة ١٠١٤ بعد رجوعه من مصر الى دمشق كان أول من أنشأ (سنة ٩٤٠) بدعة حسنة نقلها من مصر وهي إقامة الجماعات الذكريَّة المختصَّة للصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وعرّفوا هذه الجماعات باسم (المَحيا النبوي) لإحيائهم ليالي الاثنين والجُمُعات بتلك الاوراد والأذكار . واستمرَّ منصب شيخ المحيا ومعدَّم الجماعات المحيوية في نسله السوارية اذا مات منهم أحد خلَّفه ابنه في هذه الوظيفة الشريفة . . وكان المحل المخصوص لاداء المحيا الموصوف مشهدٌ في شرقي الجامع الاموي لقُبوه مشهد المحيا وجامع التيروزي بجوار قبر عاتكة رضي الله عنها خارج دمشق . وبعد ذلك فاني اشتاق كثيراً أن تتفضّلوني باخباري عن المسائل الآتية أوّلاً فأوّلاً :

١ — هل تستمرّ الجماعات المذكورة في الشام ونواحيها الى يومنا هذا ؟

٢ — ما اسمها في اصطلاح الناس ، أبقي عليها اسم المحيا أم بدّلوها باسم غير هذا ؟

٣ — أين محلّ اقامة الجماعات المحيوية في دمشق ، هل تستمرّ في المشاهد المذكورة فوقه الى الآن أم نقلت الى غيرها من المشاهد ؟

٤ — هل تتوارث وظيفة شيخ المحيا في العيالة السوارية كما كان في القرن الحادي والثاني عشر أم اتسمت على غيرها من البيوت الفاضلة الشامية ؟ تفضل عليّ يا أيها الشيخ بافادة جواب شافي [1] مُثاباً جميل الثواب ، من الله الكريم

(١) كذا

الوهاب . وتخبروني أيضاً عن أحوالكم كليّاتها وجزئياتها . وأما عبدكم فيتشكر لله تعالى على ما أنعم عليه من خيره ، صابراً على البلايا ، ان الله مع الصابرين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكتبه
العبد الحقير الفقير
اجناس كولد صهر
المجري

تحريرا في بودابشت
في الحجة من شهور سنة ١٣١٧

﴿ الزهراء ﴾ — اننا لا نعلم بماذا أجاب شيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله على الاسئلة الواردة في هذه الرسالة . والذي نعلمه ان المحيا لا يزال يقام في دمشق بمسجد بني امية ، ولا نعلم اذا كانت هناك فتة لا تزال منابرة على احياء ليالي الأثانين والجمعات ، غير أن من الحقق أن المحيا يقام في ليالي مخصوصة به من الاشهر الثلاثة ولا سيما ثالثها (رمضان) ، وآخر من عرفناه منابرا على ذلك المرحوم عثمان آغا السمان من وجهاء حيّ القيمرية بدمشق . والمحيا معروف بهذا الاسم الى يومنا هذا . ويقام في المشهد الشرقي من مسجد بني أمية تحت منارة سيدنا عيسى عليه السلام ، أو في الزاوية المجاورة لهذا المشهد بين جدار القبلة والجدار الشرقي من المسجد . وجامع التيروزي الذي بجوار قبر عاتكة رضي الله عنها لا يزال موجودا الى يومنا هذا ويتولى الخطابة والامامة فيه الشاعر الدمشقي الشيخ عبد الرحمن القصّار . ولا نعلم ان كان للاسرة السوارية بقية ذات علاقة بالمحيا في دمشق أو نواحيها

﴿ مناف ﴾

في معهد الآثار العربية الذي اقيم في دار أسعد باشا العظم بدمشق مذبح للنذور نقشت عليه أول صورة عرضت لمناف حامي حمى قريش قبل الاسلام

الشعر والشعراء

وتطوُّر الشعر العربي

الشعر لسان الوجدان ، وترجمان الجنان ، وسجلّ الحكمة ، وخدر البلاغة ، ووعاء الحقيقة ، ومرآة آداب الأمم ، وصحيفة أخلاقها ، وديوان أخبارها . ينجم عن خطرات فكرية اختبأت في ناحية من النفس ، حتى اذا امتزجت بالعواطف الحساسة الرقيقة ، ودبَّ دبيبها ، فاحدثت نشوة في الروح ؛ وتسابقت الى الافهام ، فعلقت بالخواطر والاوهام ؛ تصرفت بها القوة الناطقة ، فصقلها البيان حِكَماً زاهرة ، وغرراً ساحرة

وليس بشعر الأ ما يهيج ويغضب ، ويسرُّ ويطرب ، ويلعب بالنفوس ، لعب الخمر بالرءوس ، فيتمثل به جمال الوصف ، وحسن التصوير ، وتحليل مشاعر النفس ، وسبر اغوار الحياة ، وتمثيل الحقيقة فيترك في النفس ما تتركه النغمة الموسيقية من الأثر في نفس السامع

ولا غرو فما الشعر والموسيقى الاَّ واحد ، بل هما صنوان : هذا يصوّر لنا جمال الطبيعة بالخيال والبيان ، وتلك تعبر عنه بالأنغام والالحان . ولولا مايتخلله من تلك النغمة الموسيقية ، والروح السارية التي تستطير الألباب ، وتستفزُّ النفوس بالتصور الدقيق ، واللفظ الرشيق ؛ لكان الشعر عين الفلسفة ؛ لان الاول غذاء النفس ، وتلك غذاء العقل : ذاك يغذى النفس بنغماته ورنَّاته ، وأهازيجه ونبراته ، وتلك تغذي العقل بحججها القاطعة ، وبراهينها الساطعة

وابلغ الشعر واسماه ما يعبر عن عواطف الشاعر ؛ فتبرز به الخيالات والتصورات بروز المحسوسات ، ويحيط بما تشعر به النفس من الحب والشوق والوجد والحنين ؛ جامعاً بين الاغراض النفسية ، وسبر غور الحقائق الكونية ؛

متشياً مع الحقيقية التي هي وعاؤه، تحف به مواكب التصوير، وفخامة التعبير، وجلال العظمة، ورونق الجمال

الشعراء

أما الشعراء بالحقيقة فهم نبراس الامة، ومصدر الحكمة، ورسل العواطف المكنونة في الصدور، والشموع النيرة المتقدة التي تشتعل لتنير، وتذوب لتخترق الظلمات والدياجير؛ فتشرف بالكون على حياة أسمى، وفكر أرقى، وترفعه من أسفل سافلين، الى أعلى عليين

الشعراء المجيدون في كل عصر ومصر تختلف مميزاتهم الأدبية ومنازعهم الشعرية وأساليبهم الخاصة التي يخطها الواحد لنفسه، فينشأ على عكسه الآخرون: فهذا ولهٌ بحسن الصياغة وقوة التأليف وطلاوة الديباجة، فهو أشبه بالصائغ الماهر المتفنن الذي يقضي سحابة نهاره بجودة عمله وحسن ابداعه ليبرز الموجود من الحالي النفيسة زينةً للناظرين. وذاك هائم بحسن التصوير مع رقة التعبير، فيغوص بفكره وتصوراته الى أعماق احساس القلب ليستخرج من كنوزه الثمينة اللؤلؤ والمرجان فيمحو شخصه أمامك حتى لا تكاد تراه ثم لا يلبث أن يجيء بالخواطر المبتكرة والدر النفيس الذي يدوم بدوام الاجيال حياً خالداً في نفوس الرجال. وذلك هام في عالم الجمال فسبح في سماء الخيال وضرب على وتر شعور النفس والهام الحس فجاء بالتعابير البهجة والتشابيه المرقصة الخلابة التي تمثل الحقيقة في جانب الخيال فيبهجك ويطربك، ثم لا يلبث أن يجول فيزول ويترك في المخيلة للدلالة عليه اثراً ضئيلاً ورسماً محيلاً. أما الشاعر الفرد فهو من جمع بين مختلف هذه الصفات والمميزات وسما الى غاية ما يرقى اليه استعداد الفكر في مراتب الابداع وقوة الاختراع فجاء شعره آية الآيات ومعجزة المعجزات. ويقال لأولئك شعراء ذلك العصر، أما هو وحده فنابغة الدهر

الشعر في التاريخ

الشعر لم تخل منه أمة من الامم قديما في حديث ؛ اذ هو رفيق الانسان في كل زمان ومكان ، ومصدر الحكمة وترجمان كل امة ومرآتها التي تنعكس فيها حضارتها وملكاتها وانفعالاتها النفسية

بيد أن الشعوب السامية كانت أكثر الامم اعراقاً فى الخيال وأقربها الى التصورات الشعرية . ومن تصفح التوراة ير بها امثلة كثيرة من التصور الشعري . وهناك اسفار كلها شعر كسفر ايوب وسفر اشعيا ومزامير داود . ولما كانت اللغة العربية أكثر استعداداً من العبرانية للتعبير الشعري — لما فيها من التصرف باساليب البيان — كان العرب أكثر استعدادا من العبرانيين لقرض الشعر والاستغراق في عالم الخيال

وحسبك ان لهم من مدونات الشعر في عصر واحد ما لم يجتمع عند أمم العالم في عدة قرون . فقد ذكر مؤرخو العرب أن الاصمعي كان يحفظ ١٦٠٠٠ أرجوزة وأن حماداً الراوية كان يروي ٢٧٠٠٠ قصيدة على كل حرف من حروف الهجاء ألف قصيدة ، وأن أبا تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور صاحب كتاب الحماسة كان يحفظ من أشعار الجاهلية ١٤٠٠٠ أرجوزة غير القصائد والمقاطيع مع أن إلياذة هوميروس وإيذيسته هما معظم شعر جاهلية اليونان ولا يزيد عدد أبياتهما على ٣٠٠٠٠ بيت . وانك لتجد لدى المقابلة بينهما — مع ما يظن فى ذلك العدد من المبالغة — يوناً شاسعاً رغم قول عمرو بن العلاء « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » ولطالما اشتد ولعهم بالشعر حتى كان له عندهم سوق رائجة وقيمة عظيمة حتى لم يكادوا يتركوا شيئا مما وقع نظرهم عليه من مستحسن ومستقبح وما اعتقدوه في انفسهم وما عرفوه من الحكمة البالغة الا نظموه شعرا

الشعر العربي

لا مراء بأن التصورات الشعرية عند العرب قديمة للغاية ، ولا يبعد أن يكون النظم المقفى الموزون حادثاً جديداً تناولوه عن طريق الأمثال بادىء بدء ثم اتفق لأحدهم أن جاء به شطرين مسجوعين فحذا حذوه الجميع من حيث التقفية والوزن لما بهما من الرنة الموسيقية الخلابة

بيد أنه كان الرجل في الجاهلية ينظم ابياناً من الشعر لامر يبدو له ، حتى اذا جاء زمن هاشم بن عبد مناف قُصّدت القصائد ونهض أمرؤ القيس وتتابع بعده الشعراء فنهض الشعر من كبوته وعظم فيهم مقام الشاعر ونزل من نفوسهم وافئدتهم منزلا لا ينزله الملوك والامراء وذوو اليسار والكبراء

ولم يتسنَّ للامة العربية بلوغ شأوها المتعال الذي لا يتطالّ اليه متطالّ الا بخروج النبي العظيم وظهور القرآن الكريم ، وآنئذ نهض سيد الفصحاء والبلغاء وامام الفلاسفة والحكماء الامام علي بن أبي طالب (ع) واقتفى أثره العلماء والمحدثون من أهل الكوفة والبصرة والحجاز وجعلوا اللغة بشارة منه دروسا تقرأ وفنونا تدرَّس ، وقيدوا اوابدها ودوّنوا مفرداتها ، فانتعشت الآداب العربية وارتفع شأنها ، وقامت المرأة تخطب في الأندية وبين الصفوف وتبرز في مقدمة السابقين لخوض عباب البحث في ميدان الحركة الفكرية بفضل ذلك الإمام العظيم

قضى الامام الكبير نحبه وقام بعده الامويون والعباسيون آخذين بناصر العلماء واكرام الشعراء ، فعرّبت الكتب ودوّنت الدواوين وظهرت التآليف الكثيرة ونبغ من الشعراء جمّ غفير كالشريف الرضي ومهيار الديلمي والسيد الحميري وأبي الطيب المتنبي وكُثَيِّر عزَّة ودعبل وبشّار بن بُرد وابي العتاهية وابي نُواس والبُحتري الى أمثالهم من فحول الشعراء الذين نهضوا بالشعر نهضة سامية وسموا به الى الافق الأعلى . وحسبك نابغات العرب اللائى يرزن بحلبة الشعر

في كل عصر فبارين أدباءها الكبار وأتين بقطع كالروض تنسيك بلاغة البلغاء وسلاسة المترسلين والادباء ، كزينب وسكينة والخنساء وجنوب وعلياء والسوداء الى غيرهن من الاديبات والنابغات اللواتى اشتهر أمرهن بين قديم وحديث

ولم يزل الشعر سامي المكانة عزيز الجانب عند العرب زمنا طويلا حتى داخلتهم العجمة وشذّت لغتهم عن الفصاحة وسرى الخول في كل بقعة من أنحاء الامة العربية فتهدّم مجد السلف ولعبت به أيدي الضياع والتلف فخمدت جذوة الشعر وانطفأت شعلته بعد ذاك السمو والرفعة وتلك العزة والمنعة ، ومكث بين من معضلات أسقامه ومزمنات آلامه بسبب النفوذ الاجنبي المنتشر في الاقطار الشرقية العربية ، حتى تسنى لفريق من أبناء العربية مداركة ذلك الانحطاط بعقد مجالس الأدب ، وهبّ المرحوم الخديوي محمد علي باشا لنشر المعارف في مصر وقام السيد الافغاني دائبا يبث روح النهضة فى الشرق وقام تلاميذه من بعده ـ فى العراق ومصر وسوريا ـ مقتصين اثره فأنشأو الصحف المديدة ونهضت مصر فى البرهة الاخيرة طالبة استقلالها فعصفت بها ريح الثورة الوطنية وحذا حذوها طالبو الاصلاح فى الاقطار العربية فسرت فى الشرق عامة روح جميلة بسبب تلك العوامل الجمة افضت لانتعاش اللغة العربية ووجود ادباء عديدين وشعراء مجيدين طالما نشر لهم في الصحف السيارة شعر فاخر يذكّر بالعصر العباسي الزاهر

ومما لاريب فيه ان مانشاهده بأم العين من دلائل الحركة الفكرية المنتشرة في الاصقاع العربية ، وانتعاش الروح الوطنية في احنائها سينجم عنه تطور في الآداب والفنون والرقي والعمران ، وستلعب دورا خطير الشأن في المستقبل العاجل . ولله در القائل :

ما إن تقوم وترتقي لغة ... مالم تقم في الأرض دولتها

صيدا (جبل عامل) محمد كامل شعيب

ابن رشيق

ـ من محاضرة الاستاذ عبد العزيز الراجكوتي ـ

﴿ ابن رشيق بحضرة المعزّ ﴾

المعزّ وان لم نعثر له على شعر كما نقلنا عن ابن خلكان [1] إلا أنه كان مع ذلك ناقدا بصيرا ومصقعا نحريرا ـ والعجب من صاحب المقالة فى دائرة المعارف الإسلامية بالانكليزية حيث زعم ان الذي كان ابن رشيق من شعراء حضرته هو المعز الفاطمي ـ فكأنه لم يفرّق بين المُعزَّيْن ولم يعرف البرّ من البرّ ـ وهذا يتضح من انتقاده على بيتي ابن رشيق الحائيّين وقد مرّا ـ ثم ان نونيته المارة أثبتت لديه أن الرجل كان له شأنٌ ومنتشر له ذكرٌ ولما أنشده لاميته اختصّه لنفسه وجلبه الى ديوانه وحفّه بجوائزه السنية ورفّه بصلاته الخطيرة على ما مر ، وما ساعده الدولة والإقبال لم يُخْوِج شاعرَه إلى غيره . ثم إنّ الدهر قلب له ظهر المِجنّ والايام كما علمت غُدُرٌ وللدهر دُوَلٌ وسيأتيك بيانه .

قال ابن شرف [2] فى أبكار الأفكار له « استدعانى المعز بن باديس يوما واستدعى اباعلى الحسن بن رشيق الأزدى وكنا شاعرَىْ حضرته وملازمَىْ ديوانه فقال أحبُّ أن تصنعا بين يدىَّ قِطعتين فى صفة الموز على قافية الغين فصنعنا حالا من غير أن يقف أحدنا على ما صنعه الآخر (راجع قطعتيهما فى الغين من شعرهما) فأمرنا الوقت أن نصنع فيه على حرف الذال فعملنا ولم يُرِ أحدنا صاحبه ما عمل (وراجعْ قطعتيهما فى الذال من شعرهما) قال ابن شرف فانت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحدا . ولقد قال من حضر ذلك اليوم ما ندرى مِمّ نتعجب أمن سرعة البديهة أم من غرابة القافية

(١) ولفظه (٢ : ١٠٥) له شعر قليل لم أقف منه على شيء (٢) البدائع ١ : ٢٢٦

أم من حسن الاتفاق » اه فهذا يدل على ما منح شاعريه من الاختصاص وحضهما على المساجلة فى قرض الشعر ومثله ما نقله ابن بسام [1] « أن ابن رشيق دخل عليه يوما وعنده جماعة من الادباء وفى يده أترجة ذات أصابع كأنها واسطة ذهب أو جذوة لهب ، فأمرهم المعز أن يعملوا فيها شيئاً فعمل ابن رشيق :

أترجة سبطة الأطراف ناعمة تلقى النفوس بحظ غير مبخوس
كأنما بسطت كفاً لخالقها تدعو بطول بقاء لابن بادیس

والبيتان كما ترى آية فى الحسن وهما على البديهة فكيف لو تروّى فيهما . ثم قال ابن بسام فاستحسن ذلك منه وفضله على من حضر من الجماعة الأدباء (كذا) . ومثله ما روى أنه رجع من بعض غزواته منصورا فتقدم ابن رشيق وأنشده :

وكأنما رايته مشهورةً يوم اقتحامه
أيدٍ تشير الى العدـ ـوّ بسلمه أو بانهزامه

وكذا قوله [2] وقد غاب المعزّ عن حضرته وكان العيد ماطراً :

تجهم العيد وانهلت مدامعه وكنت أعهد منه البشر والضحكا
كأنما جاء يطوى الارض من بعدٍ شوقاً اليك فلما لم يجدك بكى

ولكن لما انتقل المعزّ من سيل أعراب مصر الى المهدية وتبعه صاحبنا طاش فكره وفل رأيه فكان يمتعض من أدنى فلتة ويجبّه على أحقر بادرة ويسىء الظن بصديقه الوفىّ وصاحبه الحفىّ فارتحل الى صقلّية وهو كاره مع انها لم تكن أحسن حالا من إفريقية كما سيمرّ بك

(١) ابن خلكان ٢ : ١٠٥ والبدائع ٢ : ٣٩ وجمنا بين الروايتين
(٢) المعجب ٢ : ١٦ وخزانة الحموى ٢١٤

﴿ هو في الخليط ﴾

كان على أعلى درجة من الخلق كما مرّ فى حكاية رحلة الصقلىّ إليه ويذكر لنا فى شعره أنه لا يستحلّ الجفاء بالاخوان ولو على المفارضة

من جفاني فانني غير جافٍ صِلةٌ أو قطيعة فى عَفاف

ويعظ أصدقاءه بأن قلوبى ليس عن سوء الطوية او دُخال فاسد فلا يغرّنكم ذلك

أحب أخى وان أعرضت عنه وقلّ على مسامعه كلامى

الثلثة الابيات . وذكر فى الأنموذج [1] حكاية تدلّ على كرم ومروءة وسماحة نفس ودماثة خُلق فى ترجمة الشاعر أبى الحسن محمد الصرائرى قال « رأيته فى سوق ابن هشام بالقيروان ماشيا فى فرْوأحمر عتيق مما يوارى ركبتيه وقلنسوةٍ قديمة وهو يشترى لحما . فتواريتُ عنه إكباراً له وحياء من رؤيته فى تلك الحال واتّبعتُه إلى بيته فلما عرفته ذهبت فأتيته بعبية كانت لى فيها ثياب لاجملها عليه فاذا هو يُصلح القدر وعليه ثياب نفيسة وعمة شريفة وفى وسطه احرام دبيقى مرتفع فسلمت عليه متعجّبا منه فأنكر حالى فقال مالك فقصصتُ عليه القصة من أوّلها إلى آخرها فأنى بخير وقال قابلت العامة العمياء بما يشبهها » . وقد مرّ فى ذكر شيوخه أنه يتأدّب معهم دائما ويزين أبواب كتابه بنقل أقوالهم بأسمائهم وإن احتاج أن ينتقد على قول أحد منهم لا يخلّ برعاية الادب . ولا يني يُثنى على ولىّ نعمه ابن أبي الرجال الآخذ بُحجزته من الوهاد الى الجبال كأنه يرى عنقه خاضعة لأعباء إنعامه وكاهله ينوء بأثقال إكرامه. والاسف أنى مع طول التنقيب لم أعثر على موادّ تاريخية فهاك ما وجدته من الباب فى شعره

(١) البساط ٦٣

مع ذكر القوافي فقط: يلقننا القناعة وينهانا عن الجشع (التعب). يحذرنا عن مخالطة العوام (الاكفاء والصموت) يخوفنا بالموت ويوقن بالبعث والنشور وتراه تُرْعَدُ فرائصه من ذكر يوم الدين والوقوف بين يدي رب العالمين (القضاء وظُلَل). يحوم حول الحقيقة والجوهر ولا يحفل بالظاهر وليس من أهل الجمجمة والدندنة أو الفخفخة والطنطنة (معتمد). يشكو الينا جوده وبذله كما قيل:

انا اذا اجتمعت يوماً دراهمنا ظلّت الى طُرق المعروف تستبق
لا يألف الدرهمُ المضروب صُرتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلق

(جودي) - يلين جانباً عند ذكر الماضين. قال في العمدة [1] وقد ذكر عدّة ابتداءاتٍ للشعراء «وقد قلت أنا وإن لم أدخل في جملة من تقدّم ولا بلغت خُطته»

﴿ سعة اطّلاعه وإصابته الغرَضَ وغائر نقده ﴾

هو من سعة الاطلاع وجمع الموادّ اللازمة والوقوف على كتب الشعر والشعراء بمكان لا يُجارَى فيه، بل روى الدواوين الأدبية بروايتها المختلفة، قال [2] وذكر بيتاً لضباب بن سُبيع بن عوف الحنظلي: هكذا روايته بالحاء غير معجمة وهو الصحيح وبعضهم يرويه غمّة بالغين معجمة - وقال [3] في بيتي عمرو بن كلثوم صدرت الكأس البيت وماشر البيت: انه اختلسهما وهما لعمرو ذي الطَّوْق (ابن أخت جذيمة الأبرش) فاستلحقهما عمرو بن كلثوم في قصيدته وكان [أبو] عمرو بن العلاء وغيره لايرون ذلك عيباً اه أقول عزوهما إلى عمرو ذوى الطوق لم يُنبّه عليه ابن كيسان ولا التبريزيّ ولا الزوزني نعم ذكره أبو العلاء في رسالة الغفران [4] والبغدادي [5] في الخزانة في خبر طويل - وهما في كتاب

(١) ١ : ١٥٣ (٢) ١ : ٩٤ (٣) ٢ : ٢١٧ (٤) مصر ٦٨ (٥) ٣ : ٤٩٨

النقائض [١] معزوين لابن كلثوم فى خبر مختلف عما عندهما ، والله أعلم بصاحبهما إلا أنا ذكرناه لغرابته وأن صاحبنا لم يغفل عنه مع شذوذه . ويذكر فى العمدة من الكتب المأخوذ عنها مالا نكاد نقضى منه العجبَ ونسأله « أنّى لك هذا » ولو كان حيًا يسمع لأجابنا « هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » وحسبك شاهداً لما نحن بصدده أن كتاب جمهرة أشعار العرب مع عدم شيوع نُسخه وعدم عثور المتقدمين عليه نرى مكتبة صاحبنا مزهوة به حيث يقول [٢] « وقال محمد بن أبى الخطّاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب » . ونرى أن تعاصر العلماء ربما يمنع بعضهم عن ذكر اسم صاحبه بخير إلا أن صاحبنا لا يستهجنه قال [٣] « وزعم أبو أسامة فيما رأيته بخطه وقد عاصرته وكان علامة باللغة » وأنموذجه فى شعراء عصره ليس إلا . ونراه يأتى [٤] بأشعار المعرى مع المعاصرة فان المعرى توفى سنة ٤٤٩ ه فذكر بيتين له من غير صنعة اللزوم فى عمدته

هذا ما كان من أمر الرواية وأما الدراية فإنه من دقة النظر وغموض الفكر وإصابة المرمى بمحل رفيع . لا يترك قولا نقله إلا ويؤيده أو يزينه إن كان يحتاج إلى بحث . ويدور مع الحق حيثما دار فتراه انتقد على أساتذته وعلى الأصمعى [٥] والصاحب ابن عباد [٦] والقاضى الجرجانى [٧] صاحب الوساطة . وهو بنفسه يعترف فى محل آخر [٨] بفضل القاضى حيث يقول « وهو أصح مذهباً وأكثر تحققا من كثير ممن نظر فى هذا الشأن » ونراه [٩] يوصى الشعراء وصية طويلة قال فيها بعد ذكر ما أحدثه المتأخرون من المعانى المبتكرة والإبداعات الغريبة وإبداء فضلهم على من تقدّمهم « هذا على أنى ذممت الى المحدثين أنفسهم فى أماكن من هذا الكتاب وكشفت لهم عوارهم ونعيتُ لهم أشعارهم ليس هذا

(١) ص ٨٨٦ (٢) العمدة ١ : ١٦١ (٣) ٢ : ١٠٤ (٤) ٢ : ٨٢
(٥) ٢ : ١٩٣ (٦) ٢ : ١٩٣ (٧) ٢ : ١٩٥ (٨) ٢ : ٢١٥ (٩) ٢ : ١٨٥

جهلا بالحق ولا ميلا إلى ثنيات الطُرق ولكن غضًا من الجاهل المتعاطى والمتحامل الجافى الذى اذا أعطى حقه تعاطى فوقه وادّعى على الناس الحسد وقال أنا ولا أحدّ وإلى كم أعيش لكم وأىّ علم بين جنبىّ لو وجدتُ له مستودَعًا ، فاذا عورض فى شعره بسؤال عن معنى فاسد أو متهم أو طولب بحُجة فى لحنة أو شاذ أو نوظر فى كلمة من ألفاظ العرب مصحفة أو نادرة قال هكذا أعرف وكأنما أعطى جوامع الكلم ، حاشَ لله ! وأستغفرالله ، بل هو العمَى الأكبر والموت الأصغر » الى آخر ما نعى به عليهم ونَدّد من تعجرفهم وسُلّم بشىء منه فى الآتى ويحسبك فى لطافة فكره وغَوْرِ سبْره ماقال[1] بعد أن نقل اعتراض الصاحب على بيت المتنبىء فى مرثية والدة سيف الدولة :

رِواق العزّ فوقك مسبطرٌّ ومُلكُ علىّ ابنك فى كمال

ان لفظة الاسبطرار فى مرائى النساء من الخذلان الصفيق الرقيق ثم قال وأنا أقول ان أشدّ ما هجن هذه اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء أنه قرنها بفوقك فجاء عملا تامًا لم يبق فيه الافضاء اه قال العاجز نعم كذا هو « فوقك » فى الوساطة[2] وشرح الواحدى[3] إلا أن فى شرح العكبرى[4] موضعه حولك . وفى الشرحَين قول أبى بكر الشعراني تلميذ المتنبىء أنه غير مسبطرّا وجعل مكانه مستطيلا وان لم يكن بأمثل من صاحبه إلا أن اعتراض ابن رشيق ارتفع بالمرّة واعتراض الصاحب شيئاً قليلا

ونقل في باب أغاليط الشعراء والرواة من العمدة[5] عن الأصمعى قال : قرأت على أبى مُحرِز خَلَف بن حَيّان الأحمر شعر جرير فلما بلغت الى قوله :

وليلٍ كإبهام الحُبارىَ محبَّبٍ إلىّ هواه غالبٍ لىَ باطلُهْ

رُزقنا به الصيدَ الغزيرَ ولم نكن كمن نَبله محرومة وحبائله

(١) ٢ : ١٢٤ (٢) ٧٣ (٣) طبعة بومباى ١٨١ (٤) ٢ : ٢٣ (٥) ٢ : ١٩٢

فيالكَ يوماً خيرُه قبل شرّه تغيَّبَ واشيه وأقصرَ عاذله

قال خلف ويحه ماينفعه خير يؤول الى شرّ فقلت هكذا قرأته على أبي عمرو ابن العلاء قال صدقتَ وكذا قال جرير وكان قليل التنقيح لألفاظه وما كان أبو عمرو ليُفرّطك الا كما سمع . قلت : فكيف يجب أن يكون ؟ قال : الاجود أن يكون خيره دون شرّه فاروه كذلك وقد كانت الرواة قديماً تُصلح أشعار الاوائل . فقلت والله لا أرويه إلا كذا — ثم قال : قلتُ أنا أمّا هذا الاصلاح فليح الظاهر غير أنه خلاف الظاهر وذلك أن الشاعر أراد أنه كان ليلَه في وصال ثم فارق حبيبَه نهاراً وذلك هو الشرّ الذي ذكر والراويةُ جَعَلَه لم يفارق فتغير عليه المعنى الا أن تكون الرواية ويوم كإبهام الحباري — فحينئذ — على أن دون تحتمل ما قصد وتحتمل معنى قَبْل وتكون أيضاً بمعنى بَعْد اه ولا يسلّم قولا ما لم يترجّح عنده بدليل ولا يتلكأ عن تَبْذه ولا يحمله تقدم قائله في العصر على التقليد الاعمى قال[1] في باب رُخص الشعر « ويجوز له (للشاعر) التقديم والتأخير كما قال المُجَبّر السلولي :

وماذاك إن كان ابن عمّي ولا أخي ولكن متى ما أملكِ الضرَّ أنفعُ

برفع العين أراد ولكن أنفع متى ما املكِ الضرّ . ولا أدري ما الفرق بين هذا وبين :

[يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك] إن يُصْرَعْ أخوك تُصْرَعُ

حيث فرّقوا بينهما غير أنا لانسلم لهم كما سلم من هو أنقب منا حساً وأذكى خاطراً » اه أقول سيبويه[2] يجعل تُصْرَع خبر إن وجواب إن يصْرَع محذوف عنده . والمبرّد يجعل فاء الجواب محذوفاً والأصل عنده فتصرع . وهذا شأن المحققين أن يحوموا حول الدليل كما أنكر ابن قتيبة على سيبويه وهو هو عدة

(١) ٢ : ٢١٣ (٢) انظر الخزانة ٣ : ٣٩٦ والسهيلي ١ : ١٦٠

تصحيفات له فى الروايات وبناءً مسائلَ من النحو عليها فى مقدمة طبقات الشعراء (ليدن ص ٣٢)

وأرى أن أنقل هنا آراء عدة من الشعراء فى شعر محمد بن هانىء المغربى قال ابن خلكان [١] فى ترجمته :

ويقال ان أبا العلاء المعرّىَ كان اذا سمع شعر ابن هانىء يقول ما أشبهه إلا برَحَىً تطحن قرونا لاجل القمقمة التى فى ألفاظه ويزعم أنه لاطائل تحت تلك الألفاظ . ولعمرى ما أنصفه فى هذا المقال وما حمله على هذا الافرط تعصبه

وقال ابن شَرَف [٢] في مقامة الانتقاد :

وأما ابن هانىء محمدٌ الأندلسىّ ولادةً ، القيروانىّ وفادةً وإفادةً ؛ فرعىَ الكلام ، سَرَدِىُّ النظام . متين المبانى ، غير مكين المعانى . يجفو بعطَفَيها عن الأوهام ، حتى تكون كنقطة النظام . الاّ أنه اذا ظهرت معانيه ، فى جزالة مبانيه . رمى عن منجنيق ، يؤثر فى النيق . وله غزل قَمَرىّ ، لا عذرىّ . لا يقنع فيه بالطيف ، ولا يشفع فيه بغير السيف . اهـ

وهاك ما ارتأى فيه صاحبنا [٣] بعد أن ذكر أن للشعراء مذاهب مختلفة فى إيثار اللفظ على المعنى أو عكسه :

وفرقة أصحاب جَلْبة وقعقعة بلا طائل معنًى إلا القليلَ النادرَ كأبى القاسم ابن هانىء ومن جرى مجراه فإنه يقول أولَ مذهبته :

أصاخت فقالت وَقْعُ أجردَ شَيْظَمٍ وشامت فقالت لمْعُ أبيض مِخْذَمِ
وما ذُعرت إلا لجَرْس حُليِّها ولا رمقت إلاّ بُرَى فى مخدَّم

وليس تحت هذا كلّه إلاّ الفساد وخلاف المراد . ما الذى يفيدنا أن تكون هذه المنسوب بها لبست حليّها فتوهّمته بعد الإصاخة والرمق وقعَ فرس أولَمْعَ

(١) ٢ : ٥ (٢) من مجموعة رسائل البلغاء ٢٥١ والاحاطة ٢ : ٢١٣ وجمعنا بين الروايتين (٣) العمدة ١ : ١٨١

سيف .... وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة فاذا أخذ في الحلاوة والرقة وعمل بطبعه وعلى سجيته أشبه الناسَ ودخل في جملة الفضلاء . وإذا تكلف الفخامة وسلك طريقَ الصنعة أضرّ بنفسه واتعب سامع شعره . ويقع له من الكلام المصنوع والمطبوع في الاحايين أشياء جيدة . ثم ذكر له من كلى (١) القسمين بيتاً بيتاً ثم قال فهذا كله جيّد وقد زاد فيه على البحتريّ الخ. فأنت تراه في حكمه غير مائل عن جادّة الإنصاف ، ولا هائم على وجهه في الشطط والاعتساف ، كآخرين يحملهم الحبّ أو البغض على حرمان المصيب واستحسان المخطىء

الدعوة الاسلامية وشخصية العرب القومية

ان الدعوة الاسلامية التي دعا اليها النبي العربي الكريم يمكن ان تعد في الوقت ذاته مظهراً من مظاهر بروز شخصية الامة العربية في الكون ، وعاملا في تجدّد صِلاتها مع الامم الاخرى على وجه لا يقاس قوة وسعة بما كان من هذه الصلات قبل الاسلام بعد دور فترة العرب وجاهليتهم

لقد طرأ على العرب في الجزيرة قبل الاسلام ببضعة قرون شيء من الفترة ضعفت فيها دولهم اليمنية المنتظمة التي كانت على الاغلب جماع أمرهم وسمط عقدهم ومدّ الاحباش اليها أيديهم وما لبث ان حل نفوذ الفرس محل الاحباش فيها . ولم يكن المناذرة والغساسنة ليحولوا دون ذلك ، لانهم لم يكونوا وحدة عربية تنقاد اليهم بها العرب على اختلاف اقطارهم وقبائلهم . بل لقد كانوا سببا في ازدياد نفار العرب وحروبهم واتساع شقة الخلاف بينهم . وكثرت بسبب ذلك ، وباسباب جاهلية اخرى ، الوقائع والحروب بين عرب الجزيرة مما هو معروف في التاريخ بأيام العرب يمنيين ومضريين ، ويمنيين فيما بينهم ، ومضريين فيما بينهم أيضا

في مثل هذه الحالة التي أنهكت قوى العرب وشتت شملهم وفرقت وحدتهم وجعلت اخوة القبائل عداء وخصومة وحرباً ودماً ، وفي مثل هذه الفترة التي

(١) قال ابن درستويه في كتاب الكتاب (ص ٢١) أن كلا وكلتا يكتبان في حالة الاضافة الى المظهر والجر أو النصب بالياء فتكتب رأيت كلى الرجلين ومررت بكلى الرجلين

دخل فيها العرب في دور انحلال أخلاقي واجتماعي ؛ قام النبي العظيم محمد بن عبد الله يدعو العرب الى نبذ ما هم عليه من شقاق ونزاع وحمية جاهلية ويأمرهم باتباع الفضائل الاخلاقية ويحثهم على الاستشعار بالاخوة القومية والاخوة الدينية ويجمعهم تحت لواء وحدة الاصل ووحدة البلد ووحدة المصلحة ووحدة الدين. وكان ما كان من وصوله الى ماقصد ونجاحه فيما سعى . فتألفت القلوب واجتمعت الكلمة ، وأخذ العرب ينصرفون عما كانوا سائرين فيه من طرق الحروب والشقاق والتنابز بالالقاب والتفاخر بمفاخر الجاهلية الى نشر الدعوة الاسلامية ونصرها وحياطتها وتكوين الوحدة العربية والشعور بها . حتى لم يتوفاه الله الا وقدانتشر الدين الاسلامى فى أنحاء الجزيرة واتجهت أنظار العرب الى وجهةواحدة وبدأ ينتشر فيهم شعور واحد ويتحدثون بحديث واحد ويدينون بدين واحد بعد ما كانوا شيعاً فى أديانهم وميولهم ومشاعرهم وشعوبهم وقبائلهم ووجهاتهم

وأنت لو دققت في أصول الدين الاسلامي لوجدت في كثير منها وسائل وعوامل تجعل لجزيرة العرب وللقومية العربية وللغة العربية المكانة المحترمة والاثر البليغ الخالد في نفوس العرب أين حلوا وفي نفوس كل من دان بالاسلام أنى كانوا

فاللغة العربية لغة القرآن الكريم . والقرآن كتاب الاسلام المقدس فيه تفصيل قواعده وأركانه . ولا يمكن التحقق من هذا الدين الا بفهم هذه الاركان والقواعد التي احتوى عليها هذا الكتاب العربى المبين

واللغة العربية لغة القرآن . والقرآن لا تتم الصلاة الا بحفظه وتلاوته بادائه العربي وبألفاظه وحروفه العربية ، والصلاة عمود الدين كما ورد في الآثار والاحاديث النبوية ركن من أركان الدين ، ومستند كثير من أصوله وقواعده . وهي عربية قرشية . ولا يمكن العمل بها الا اذافهمت على الوجه الصحيح

كل ذلك موجب لتعلم اللغة العربية القرشية على المسلم العربي وغير العربى وعامل في نشر هذه اللغةواللغة ليست الفاظاً وأوضاعاً للتفاهم فقط تصورتها الافواه كما تصورت العجماوات ؛ بل هى أيضا مجموعة ميول وعواطف وتقاليد وعادات

وهي تاريخ الامة التي تنطق بها . فانتشار اللغة العربية التي عرفت مكانتها من الدين الاسلامي في الامم المسلمة معناه تسهيل انتشار نفوذ العرب وسلطانهم الروحي

ثم ان توحيد لهجات العرب وتغلب المضرية بسبب القرآن الكريم وقرشية النبي العظيم عامل كبير من جملة عوامل توحيد منازع العرب الذين كانوا متفرق اللهجات والاساليب والميول أيضا

كذلك أمر القبلة . فقد كان المسلمون في بدء أمرهم يستقبلون بيت المقدس ثم استبدل بالكعبة التي هي متوجه وجوه العرب من العهد القديم ومهوى افئدتهم وموضع تكريمهم وتقديسهم . ومعلوم ان استقبال القبلة ركن من أركان الصلاة . ومعنى استقبال القبلة وجوب توجيه كل مسلم وجهه خمس مرات في اليوم نحو الكعبة في جميع انحاء الارض المسكونة بالمسلمين . وفي ذلك ربط لقلوب العرب خاصة والمسلمين عامة بهذا البيت العربي وبالتبعية بجزيرة العرب التي هو فيها . والذي يتمعن بالآيات القرآنية الواردة في هذا الموضوع يتبين هذا المعنى الذي أشرنا اليه . ولك ان تستنتج ما وراء هذا الربط من تأمين بروز شخصية الامة العربية ونشر سلطانها. وما قيل في استقبال الكعبة يقال أيضاً في حجها. فان حج البيت الحرام ركن من أركان الاسلام متحتم على مستطيعيه وبهذه الوسيلة تغدو بلاد الحجاز في موسم الحج مزدحم أقدام المسلمين عربهم وعجمهم يأتون من كل فج ليشهدوا منافع لهم : هي المنافع الاجتماعية الكبرى كالتعارف والتآلف والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر والنظر في صالح المسلمين وانت لا تجهل أن ارتباط المسلمين بركن من أركان دينهم ببلد معين يجعل لهم الرابطة الوثيقة بهذا البلد والقطر الذي هو فيه ، وفي ذلك من قوة النفوذ الروحي لساكني ذلك القطر مافيه

هذا واذا قرأت الآيات الكريمة الواردة في القرآن في فضل الامة العربية كقوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وكقوله « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » تبينت الشعور الذي كانت هذه الآيات تشربه قلوب العرب بكرامتهم وعزتهم

ومركزهم الأدبي من جهة وقلوب المسلمين من غير العرب ومكانتهم من جهة ثانية ولا يرد علينا ان هذه الآيات انما خوطب بها المسلمون لا العرب بالتخصيص. فان النبي عليه السلام انما كان يخاطب بها الامة العربية في جزيرة العرب . وان صلات الدعوة الاسلامية بغير العرب انما تكوّنت بعد النبي عليه السلام .

نابلس محمد عزة دروزه

حركة النشر والتأليف

﴿ الميسر والقداح — لابن قتيبة ﴾

المكتبة السلفية ومكتبتها ٥ ١٧٣ ش بقطع الجاير : ثمنه ٨ قروش

كتاب ابن قتيبة في الميسر والقداح من أنفس كتب الادب والتاريخ العربي التي ذهبت بها يد الدهر فلم يبق منها غير نسخة واحدة كتبت سنة ٦٢٢ وقد اطلع عليها سعادة العلامة أحمد زكي باشا فأخذ صورتها بالفطوغراف ، وانتدب منشئ هذه المجلة الى درسها وتحقيقها وتصحيح متنها والتعليق عليه ، وطبعها بالمطبعة السلفية طبعا نفيسا ممتّعا به وزينها بصورة الصفحة الاولى والصفحة الاخيرة من الاصل المطبوع عليه . ووضع في أولها ترجمة حافلة جداً لابن قتيبة واستقصى ذكر مؤلفاته واحداً واحداً مع تحقيق نسبة كل كتاب الى ابن قتيبة وبيان المعروف من نسخه المخطوطة وطبعات المطبوع منها . ومن مزايا هذا الكتاب أن مؤلفه نهج في تأليفه منهجاً علمياً حيث جمع أبيات العرب في الميسر وجعل يتدبّرها ويستدلّ على كيفيته باعتبارها ، ثم أودع كتابه ما أدّى اليه النظر ودلّ عليه الاستخراج . ومما يؤسف له ان نسخة الاصل الوحيدة كانت كثيرة الغلط فكان منشئ هذه المجلة يراجع الكتب لتحقيق كل فقرة وتصحيح كل بيت مع الامانة في بيان ما كانت عليه نسخة الاصل والمرجع الذي اعتمد عليه في تصحيح كل

موضع من مواضع الخطأ . وقد تمت محاسن هذه الطبعة بأربعة فهارس الحقت به الاول لترجمة المؤلف وفصول الكتاب ، والثانى لما ورد فى متن الكتاب من الابيات مرتبة على القوافى مع ذكر أصحابها ، والثالث لما فى متن الكتاب من اللغات الخاصة بالقداح والميسر ، والفهرس الرابع لاسماء الاعلام

﴿ قاموس الجيب ـ عربي وانكليزي ﴾

المطبعة المصرية ★ المكتبة الثانية ★ ٥٣٣ ص بالقطع الصغير : ثمنه ٢٥ قرشا

لو أن كل واحد منا يؤلف للمكتبة العربية في الموضوع الذي يجيده ، ويثمرها من ناحيته بما تصل يده اليه ـ كما يفعل الفاضل الياس افندي انطون الياس ـ لاستطعنا في عشرات قليلة من السنين أن نجعل المكتبة العربية عامرة بما ينقصها الآن في مختلف الفنون . أقول ذلك بمناسبة اصدار هذا الفاضل معجمه الجديد للجيب من العربية الى الانكليزية ، بعد أن أصدر مثله من الانكليزية الى العربية وقبلهما أصدر معجمين وسيطين باسم (القاموس العصري) أحدهما من العربية الى الانكليزية والآخر بعكسه . ولعله يتوسع بعد الآن في وضع معجم مبسوط جداً فى هاتين اللغتين لان قاموس سعادة والذخيرة فضلا عن كونهما بعيدي التناول عن طالبهما فان الحاجة ماسة الى معجم أغزر منهما مادة وأبعد مرمى . و (قاموس الجيب) الذي صدر الآن من العربية الى الانكليزية مزين بالصور ، حسن التجليد ، مطبوع بحروف مشكولة مصغرة

﴿ خطط الشام ـ للاستاذ كرد علي ﴾

طلع علينا العدد الاخير من مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية وفيها بشرى عزم الاستاذ العلاّمة السيد محمد كرد علي على نشر كتابه الجليل في خطط الشام ، وهو الكتاب الذي يرقب محبو التاريخ والجغرافيا ظهوره بفارغ الصبر ، لان مؤلفه الاستاذ مابرح منذ ربع قرن عاكفاً على استقصاء أبحاثه والاطلاع على مئات الكتب المخطوطة والمطبوعة من عربية وأجنبية لتقرير الحقائق الدقيقة التي أتى عليها فيه ، فضلاً عن رحلاته الكثيرة في هذا السبيل . والمنتظر أن يكون الكتاب في ألفي صفحة ، وقد فتح باب الاشتراك فيه بجنيه مصري واحد

﴿ كتاب الاشجار والأنجم المثمرة ـ للامير مصطفى الشهابي ﴾

المطبعة الحديثة بدمشق ـ المكتبة السلفية بالقاهرة ٥٠٠ ص مع قطع الزهراء : ثمنه ٣٠ قرشا

الامير مصطفى الشهابي مدير أملاك الدولة بدمشق الآن ، ومدير الزراعة العام فيها قبلاً ، في طليعة رجال الشام العاملين على خدمتها بعلمهم وأخلاقهم . وهو شقيق صديقي الشهيد السعيد المرحوم الأمير عارف الشهابي نادرة الاخلاص ورمز التضحية وصاحب المدارك البعيدة المرمى . وقد أتحف الامير مصطفى الناطقين بالضاد في هذا العام بمؤلف له جديد في فن زراعة الاشجار والانجم المثمرة مع تطبيقه على أقاليم بلاد الشام المشهورة بأثمارها فخدم به الوطن خدمة مزدوجة أحد شطريها تمحيص الحقائق العلمية التي اقتبسها عن أوثق ما اطلع عليه من الكتب الفرنسية في الاحدى عشرة سنة التي مضت على تخرُّجه في مدرسة كريتيون بفرنسا ، والشطر الثاني تدوين اختباراته العملية في تطبيق حقائق العلم على حالة الاشجار والأنجم المثمرة في ديار الشام والبلاد المشابهة لها في الاقليم . واهتم بنوع خاص بذكر ما يهم القطرين : المصري والعراقي . واذا كان المقتطف قد وصف أحد مؤلفات الامير مصطفى الشهابي ـ وهو كتاب الزراعة العملية الحديثة ـ بأنه « كتاب السنّة » فان كتابه الاشجار والانجم المثمرة هو من أفضل ما خدم به المشتغلين بالزراعة من قراء العربية فلفت أنظارهم اليه

﴿ جريدة الشورى ﴾

خطا حضرة الصحفي الفاضل السيد محمد علي الطاهر خطوة واسعة بجريدته (الشورى) على حداثة عهدها فأصبحت مثال الاتقان في تنسيقها وتبويبها واختيار موضوعاتها وأبحاثها واستمالة كبار الكتاب الى توشيحها بأبحاثهم ، فضلا عن مزيتها المشكورة في ترديد صدى ما يقع في الاقطار الاسلامية على صفحاتها . فنرجو لها زيادة التقدم والانتشار

﴿ علم الاجتماع ﴾

المطبعة العصرية ٥ المكتبة السلفية ٥ ٣٦٢ ص بقطع الزهراء : ثمنه ٢٥ قرشا

كان العلماء فيما مضى يبحثون في تكوُّن المجتمع وتطوُّره وعواملهما ، وفي عقلية الجماعات وسننها ، لا على انها علم بأصول مقرَّرة ، بل باعتبار ما يكتبونه في ذلك أبحاثا مفردة وخواطر شاردة . واذا كان ابن خلدون أول من انتبه الى العناية بأبحاث الدولة والجماعة وأطوارها ، بسبب تنقله الكثير في الاقطار واكتسابه التجارب البليغة في هـذا الباب ـ كما يرى القارىء مما ننشره وما سننشره من تاريخ حياته ـ فان العلماء الذين جاءوا بعده كانوا قليلي العناية بهذه الجهة من العلم . ولعل أوغست كونت Auguste Comte أول من فكَّر في أن هنالك علماً اجتماعياً كالعلم الطَّبعي وأن لعقلية الجماعات سنناً كسنن القوى الطَّبعية ، وأنه اذا شهد التاريخ على وقوع نظرية اجتماعية تنافي السنن العامة للطبع البشري فيجب أن يعاد النظر في صحة النقل التاريخي أو في صحة تفسير تلك النظرية

وقد صدر الآن بالعربية كتاب جليل النفع في علم الاجتماع بقلم الاستاذ السيد نقولا حدَّاد صاحب مجلة السيدات والرجال قضى في درس أبحاثه خمسة عشر عاماً ، واعتمد في تأليفه على أهم المؤلفات باللغات الافرنجية ، مع الاكثار من الامثلة والشواهد الشرقية . والكتاب في مجلدين صدر الاول منهما في هـذا الشهر ، وفيه مقدمة عن علل الاجتماعية ومَنشئها وتبويب علم الاجتماع . وثلاثة أبواب أحدها في بنية المجتمع ونسيجه ونظامه ، والثاني في العقل الاجتماعي وسنن المحاكاة والاقتباس ـ المكاني والزماني والقويم ـ والتوازن والاضطراب ، والثالث في عوامل الاجتماع ـ وهي القوى الحيوية والنسلية والاجتماعية والبيئية ـ ثم عمل هذه العوامل واعتراكها وتوازنها . ومجموع أبحاث هذا المجلد خاص بحياة الهيئة الاجتماعية ، أما المجلد الثاني فسيتناول البحث في تطوُّرها . وينتظر صدوره سنة ١٩٢٥ . فنشكر للمؤلف والناشر تعاونهما على انتشار هذا الكتاب النفيس

(الانتخابات النيابية وأحكامها)

المطبعة السلفية ومكتبتها * ٧٧٦ ص بقطع الجاير : ثمنه ١٠٠ قرش

ليس بين علماء القانون فى مصر أحد عالج موضوع الانتخابات علماً وعملا بمقدار ماعالجه الاستاذ القانونى الضليع أحمد رمزى بك المحامي عضو مجلس النواب فقد ألف سنة ١٩١١ كتاب (الانتخابات وأحكامها) وانشأ المقالات الممتعة فى ذلك سنة ١٩١٣ فى جريدة المؤيد . ولما كان قانون الانتخاب لسنة ١٩٢٣ فى دور التكوين نشر فى جريدة الاخبار عشرين مقالة فى الموضوع كان لها تأثير عملي فيه . وعند انتخابه لمجلس النواب شاهد بالعمل مزايا ذلك القانون وعيوبه . وفى هذا الشهر صدر له من المطبعة السلفية هذا المجلد الضخم متضمناً الاصول والاقضية الخاصة بالانتخابات البرلمانية وشرحاً عملياً ونظرياً لقانون الانتخاب لسنة ١٩٢٣ والقانون المعدل له لسنة ١٩٢٤ ووجوه النقد فيهما من البداية الى تأليف المجلسين . وقد قارن فيه بين القانون المصرى وقوانين الامم الدستورية ، وأورد آراء أشهر المؤلفين الاوربيين ولا سيما الفرنسويين . وأيد تفسيره للمواد بأحكام المحاكم المصرية وقرارات لجان الانتخاب والمجلسين المصريين والمجالس الفرنسوية . فجاء أوسع كتاب يلجأ اليه الناخبون ، والقضاة والمحامون ، فى موضوع الانتخاب

* كتاب الجمهور في التعاون الزراعي *

المطبعة السلفية ومكتبتها * ٢٢٧ ص بقطع الجاير : ثمنه ٢٠ قرشا

التعاون مظهر من أعظم مظاهر العظمة التي يتمتع بها الغرب اليوم ، ولا غنى للشرق وهو يلتمس القوة والنهوض عن أن يأخذ من الغرب الانظمة التي توصل الى وضعها للتعاون بكل أنواعه ومنها التعاون الزراعي الذى تدعو الحاجة اليه فى مصر قبل غيره . ولما كان الاستاذ ابراهيم افندى رمزى سكرتيراً لقسم التعاون

في وزارة الزراعة ـ وهو خريج كلية التعاون بمانشستر وعضو في بعض جمعيات التعاون البريطانية ـ فقد أخذ على عاتقه مهمة اصدار كتاب يشرح نظريات التعاون الزراعي ويطبقها عملياً على أحوال مصر ، مع بيانات تاريخية جليلة عن نشأته وسيره في انكلترا ، والكلام على الصناعات الزراعية وغاية التعاون وأصول الاجتماعات بوجه عام . فالكتاب مما لا يستغني عنه المشتغلون بالنهضة التعاونية ولا سيما الزراعية منها

﴿ الموسيقى الشرقية ﴾

ماضيها ، حاضرها ، نموّها في المستقبل

هو عنوان بحث جليل بقلم الاستاذ الفنّان محمد افندي كامل حجاج ، وقد أنشأه لمسابقة أعلنتها جمعية أصدقاء الموسيقى في الاسكندرية فأحرز الاستاذ المؤلف جائزتها الاولى . ولا غروَ فانه في طليعة العاملين على زيادة ثروة الادب العربي بما نقله وينقله اليه من بدائع البيان الغربي ؛ بعلم ذلك كل الذين قرأوا بلذة واعجاب كتابه (بلاغة الغرب) وهو في جزءين نجلت فيهما « أحاسن المحاسن وغرر الدرر من قريض الغرب ونثره »

وقد تناول كتابه الجديد (الموسيقى الشرقية) الكلام على النتف القليلة التي أبقاها لنا التاريخ عن موسيقى العرب في الجاهلية ثم انتقل الى العصر الاسلامي فوفاه حقه من البحث في نشأة الموسيقى زمن معاوية بن أبي سفيان وازدهارها على عهد من جاء بعده من الامويين ثم ظهور عصرها الذهبي في بغداد وما كانت عليه في الاندلس . وألمّ بما كانت عليه في مصر زمن المماليك وأطوارها من عهد محمد علي باشا الى الآن . ولم يفته ذكر الموسيقى الفارسية والتركية وتأثير الموسيقى الشرقية في بعض الامم الاخرى . وكان قد نشر هذا البحث في جريدة السياسة . ثم طبعته جمعية اصدقاء الموسيقى في كراسة جميلة وزعتها هدية

﴿ ايقاظ الغرب للاسلام ـ للورد هدلي ﴾

طبع الاسكندرية ، المكتبة السلفية بالقاهرة ، ١٣٠ ص : ثمنه ٥ قروش

اللورد هدلي هو النبيل البريطاني الذي يقول « لو ندبت لجنة من الانكليز الاكفاء كاللورد سالسبُري واللورد بيكُنسفليد واللورد هالدِن والمستر بِلفور لفحص الدين الصالح لأن يتديَّن به العالم كله لاجمعوا على اختيار الاسلام » وهو منذ اقتنع بذلك دعته شجاعته الادبية الى اعلان اسلامه وتلقب بلقب سيف الرحمن رحمة الله فاروق وأصبح رئيساً للجمعية البريطانية الاسلامية . ويقول عن نفسه ان دخوله في الاسلام كان نتيجة بحث سنوات عديدة . قال « وقد غمرني الفرح عند ما وجدت أن كل نظرياتي واستنتاجاتي كانت مطابقة مطابَقةً تامة للاسلام » . وكتابه هذا (ايقاظ الغرب للاسلام) يدور حول هذا البحث وهذا الاقتناع . وقد ترجمه حضرة الفاضل اسماعيل افندي البارودي وقدمه الى ملكة بهوبال لتأييدها مبدأ الحجاب

﴿ جغرافية العراق الحديثة ﴾

جاءتنا مع بريد بغداد نسخة من هذا الكتاب الذي ألفه الاستاذ الفاضل السيد هاشم السعدي صاحب مجلة المعلمين البغدادية ، وقال في مقدمته انه لما عزم على تأليفه قام برحلة استمرت ثلاثة أشهر جاب فيها كثيراً من مدن العراق فاكتسب معلومات عملية زيادة على معارفه العلمية عن جغرافية وطنه ثم عرض ما كتبه في ذلك على المستر رايلي صاحب الاطلاع الواسع على جغرافية العراق فأرشده الى تحسينات أخرى . والكتاب يتناول جغرافية العراق الطبيعية والبشرية ، وقد قررته وزارة معارف العراق للمدارس الثانوية ودار المعلمين ، وهو في ٢٣٠ صفحة . ولا ريب أن انتشار الكتب والمجلات والصحف في العراق في السنين الاخيرة هو من مظاهر نهضتها الحميدة بعد الحرب الكونية

في مصر

أنباء علمية أدبية اجتماعية

﴿ المصنوعات الوطنية ﴾

أخذت فكرة استعمال المصنوعات الوطنية والإعراض عن غيرها - بقدر الامكان - تنتشر في كل طبقات الشعب المصرى، ويتواصى الناس بها في المجامع والصحف. وتولدت عن فكرة استعمال المصنوعات الوطنية فكرة أخرى وهي التخلص من سلطة الاجانب علينا بأزيائهم والاصطلاح على زي يكون شعاراً للمصريين، تتمثل فيه قوميتهم الشرقية، وتجمع بين البعد عن تقليد الاجانب، والنبوّ عن التبذير

﴿ مصر وتركيا ﴾

تشتمل ميزانية تركيا للسنة القادمة على اعتماد مالي لانشاء منصب سياسي يمثل تركيا فى مصر

﴿ النهي عن المسكرات ﴾

أجازت مصلحة السكك الحديدية المصرية لجماعة منع المسكرات أن تضع اعلاناتها فى النهي عن المسكرات على جدران المحطات بلا مقابل

﴿ مدرسة الهندسة ﴾

رصد فى ميزانيات السنوات الثلاث القادمة ٨٥ ألف جنيه مصرى لتوسيع بناء مدرسة الهندسة. لأنها لما أنشئت كان يعلم فيها هندسة الري وهندسة المباني فقط. فلما زاد على ذلك تعليم الهندسة الكهربائية والهندسة الميكانيكية وهندسة البلديات ضاقت المدرسة بطلابها فأصبحوا أكثر من ٦٠٠ طالب. وستبنى المباني الجديدة على الارض التي تملكها الحكومة جنوبى المدرسة وينشأ معها معمل للطبيعة وآخر للرياضة التطبيقية ومصنع للحدادة وآخر للنجارة ويزاد بالتدريج عدد الأجهزة في معامل المواد الايدروليكا والآلات البخارية والكهربائية

﴿ حسنين بك ﴾

منحت الجمعية الجغرافية فى فلادلفيا حسنين بك مدالية (البشع كانت كاين) الذهبية، اعترافاً باستكشافاته الجغرافية فى صحراء لوبيا. وهذه المدالية لا تمنح الا لكبار المستكشفين

في العالم الاسلامي

أنباء علمية أدبية اجتماعية

﴿ المواصلات في الشرق ﴾

اقترحت انكلترا على مصر الموافقة على انشاء لاسلكي بين انكلترا والعراق يتصل بمحطة اللاسلكي في أبي زعبل

واقترحت على تركيا الموافقة على انشاء بريد مناطيد دائم الى الهند بطريق الانضول . وفي النية انشاء خط جوي آخر بين مالطة والبصرة

وقال مكاتب (المورنن بوست) وسيصبح ممكناً عما قريب استعمال الهاتف (التلفون) بين انكلترا والقاهرة من طريق القسطنطينية والشام الى القنطرة

﴿ الهنود ووظائف الحكومة ﴾

رغب الهنود أخيراً عن وظائف الحكومة فقررت انكلترا ـ بناء على اشارة لجنة اللورد لي ـ أن تعمل على ترغيبهم في الوظائف بزيادة التأمين على بقائهم فيها وجعل بعضهم في المصالح المركزية والتعجيل في صبغ المصالح الرسمية بصبغة هندية حتى يزداد عدد الهنود ٥٠ ٪ في خلال ١٥ سنة

﴿ الهند وبلاد العرب ﴾

سمحت حكومة الهند باعطاء جوازات لوفد الخلافة الذي ينوي السفر الى الحجاز ونجد

﴿ منشور السيد السنوسي ﴾

جاءتنا من القدس نسخة من منشور سيدي احمد الشريف السنوسي الذي صدر من المسجد الاقصى في ١٦ ربيع الثاني داعيا المسلمين في أقطار الارض قاطبة الى مد يد الاعانة لعمارة المسجد الاقصى المبارك . وقد أخذ المسلمون في مختلف الاقطار يفكرون في خير الطرق لاجابة هذه الدعوة

وبهذه المناسبة نقول ان الهند أرسلت في هذا الشهر ١٨٥٨ جنيها انكليزيا و١٢ شلنا لعمارة المسجد الاقصى

﴿ مشكلة الاهواز ﴾

في أخبار ايران أن مشكلة الاهواز انتهت باستسلام الشيخ خزعل ، وسينظر في شكل العلاقة بين الحكومة الايرانية وقبائل كعب التي تسكن تلك الديار

﴿ تركيا والخلافة ﴾

أشار مصطفى كمال باشا في حديث له مع مندوب (الماتان) في انقرة الى مابين الترك والفرنسويين من تقارب الغرائز . ثم قال عن الخلافة انه لا موجب لوجودها الآن ، وقد انفصلت تركيا عن ماضيها الديني ، وبدأت تعمل حرة من كل قيد

﴿ مصر والشرق ﴾

قال الامير شكيب ارسلان في مقال نشره الاهرام خطاباً للمصريين ولا سيما سعد زغلول باشا : ان عقيدة كون مصلحة مصر تقضي بعدم التدخل في شيء خارج عن مصر وبالنظر الى كل بلاد شرقية كانها لم تكن الا في أطلس الجغرافية ـ هذا لم يأت ولن يأتي بالنتيجة المطلوبة كما يظن . فليحافظ المصريون على النظام ، وليتابعوا عملهم بالطرق السلمية ، وليقدموا أحقادهم ولو كانت مشروعة ، وليعلموا أنهم لا يستغنون عن سائر الشرقيين

﴿ فرنسا في الشرق الادنى ﴾

نقل الجنرال فيغان من منصب المندوب السامي في سوريا ولبنان ، وعين الجنرال سراي بدلا منه . وقد قال المسيو أوغست كوفين في جريدة الديبا ان الجنرال سراي معروف بتشيعه للترك فاذا أصغى الى دعاة المصالح التركية ادّى ذلك إلى إحدى حركتين ترزح تحتها وتختنق وهما الحركة العربية والحركة التورانية

﴿ أوربا والشرق ﴾

علم مرسل (دايلي هرالد) من باريس بطريقة غير رسمية ان النقطة الاولى التي يدور عليها اتفاق الوزيرين ـ تشمبران الانكليزي وهربو الفرنسوي ـ هي التفاهم المتبادل المؤسس على خوفهما المشترك من الحركة الاسلامية في افريقية الشمالية وفلسطين وسورية . وستوافق فرنسا على عدم تعضيد الحركة المصرية سراً أوعلنا بشرط أن تسمح لها انكلترا بأن تنفرد بمفاوضة اسبانيا بشأن مستقبلها بمراكش

وكتبت جريدة (الفيغارو) الفرنسوية مقالة بشأن العالم الاسلامي قالت فيها : ان فشل اليونان في الانضول والاسبان في الريف والنزاع القائم اليوم بين انكلترا ومصر ـ هي العوامل الثلاثة لحالة العالم الاسلامي الحاضرة . وبعد ان ذكرت أن الحالة في الريف وتونس دقيقة جداً أشارت ـ بالحاح ـ الى ضرورة ايجاد جبهة أوربية مشتركة من القسطنطينية الى المغرب

في العالم العربي

أنباء علمية أدبية اجتماعية

﴿ في الريف وفي مراكش ﴾

تم انسحاب الجيوش الاسبانية من منطقة (العرائش) على ساحل البحر الاطلنطي ، وبينما كانت تنسحب من (ششوان) وسواحل البحر الابيض الى تطوان لتعود الى اسبانيا كان العرب يهاجمون مؤخرتها ، ويفتكون بها فتكاً ، حتى أصبح هذا الانسحاب نكبة عليها . وبلغ عدد المراكز التي جلا عنها الاسبانيون فى هذا الشهر مائتى مركز لم يتمكنوا من نقل مافيها من المؤن والذخائر والمهمات الحربية والمدافع ، فاكتفوا بتدمير بعضها ووقع سائرها غنائم فى أيدى مجاهدى الريف . وقد نشبت حول طنجة ثورة أقلقت بال الدول ، وفى خبر من مجريط أن الثورة وقعت فى المنطقة الفرنسوية ولكن لم ترد تفاصيل ذلك

﴿ مصر والحجاز ﴾

أثنى رئيس بعثة الهلال الأحمر المصرى الاهلية على ما لقيته بعثته من الاكرام فى جدة عقب وصولها اليها

﴿ السلطان ابن سعود ﴾

وصل السلطان عبد العزيز بن سعود الى مكة . وخطب عقب وصوله فقال : ان بيت الله سيعود اليه شأنه السالف ، فاذا فقد العدل فى بلد اسلامى وجد أهله العدل مستقراً فى بيت الله فيأرزون اليه . وستكون مكة مقراً لعصبة اسلامية امينة على الاسلام ، وسيكون شأن هذه العصبة السعى لنشر الخير والعدل بين الامم الاسلامية

﴿ شهداء سورية ﴾

شرعوا في بيروت بالاكتتاب لاقامة نصب للشهداء . واشترك فيه الحكام والمجلس البلدي والمصارف والشركات

﴿ في طرابلس الغرب ﴾

لا تزال المعارك دائرة في داخلية طرابلس الغرب بين الايطاليين والعرب. ويتولى قيادة العرب الآن ابراهيم شتيوي نجل رمضان شتيوي الذى انقلب على الايطاليين سنة ١٩١٨ وانضم الى بني وطنه فلحقت الايطاليين بسببه خسارة عظيمة

﴿ الاتحاد بفلسطين ﴾

علمنا والجلة مائلة للطبع أن مندوبي اللجنة التنفيذية والحزبين الوطني والزراعي بفلسطين أدت مفاوضاتهم في القدس الى وضع أساس للاتفاق ، والمنتظر أن تدعى وفود البلاد الى اجتماع يعقد في نابلس لتكون كلمة الاتحاد عامة شاملة

﴿ ديون تركيا وبلاد العرب ﴾

بلغ رأس المال الرسمي للديون التي لاوربا — لا سيما فرنسا — على تركيا حتى يوم دخولها الحرب ١٦١ مليون جنيه عثماني ذهباً وقد تم توزيع هذه الديون في مؤتمر الاستانة الاخير على تركيا والبلاد المنفصلة عنها . وتنقسم هذه الديون قسمين أحدهما الى حين انفصال طرابلس الغرب وبلاد البلقان عنها (١٧ اكتوبر سنة ١٩١٢) والثاني الى حين دخولها في الحرب (أول نوفمبر سنة ١٩١٤) . وانقسم كل من القسمين مائة جزء : فالاول أصاب منه تركيا ٦٢ر١٣٢٧ وسوريا ولبنان ٨ر٣٢٧٢ والعراق ٣ر٩٤٧٩ وفلسطين ٢ر٤٥٨٩ والموصل ١ر١٥٩١ والحجاز ١ر١٣٣٠ واليمن ٠ر٨٨٥٣ وشرق الاردن ٠ر٦٤٥٨ ونجداً ٠ر٠٩٦٧ وعسيراً ٠ر٠١٩٦ ووزع الباقي على اليونان والصرب والبلغار والارنؤوط وايطاليا . والثاني أصاب منه تركيا ٧٦ر٣٥٨٩ وسوريا ولبنان ١٠ر٢٣٣٩ والعراق ٤ر٨٥١٨ وفلسطين ٣ر٠٢١٩ والموصل ١ر٤٢٤٥ والحجاز ١ر٣٨٠١ واليمن ١ر٠٨٧٩ وشرق الاردن ٠ر٧٩٣٦ ونجداً ٠ر١١٨٩ وعسيراً ٠ر٠٢٤١ ووزع الباقي على اليونان وبلغاريا . وقد اعترضت سوريا وفلسطين وشرق الاردن على هذا التقسيم وطلبت احالة اعتراضها على التحكيم بموجب المادة ٤٧ من معاهدة لوزان

﴿ الموصل ﴾

يسعى أهالي الموصل — بمناسبة قرب وصول وفد جمعية الامم الى إقليمهم — لتثبيت مطالبهم القومية العربية وانتمائهم الى العراق . وهم يرغبون في ان تكون الموصل عاصمة ثانية للعراق كالاسكندرية في المملكة المصرية . والذي يحملهم على ذلك بنوع خاص ارتباط الموصل بالعراق ارتباطاً اقتصادياً — فضلا عن الارتباط القومي — فاذا انقطعت علاقاتهم ببغداد والبصرة أصبحوا في عزلة عن أسواق العالم

وقد تم يوم ١٨ ربيع الثاني جلاء الترك الى حدود الموصل التي عينت في بروكسل

﴿ الدولة السورية ﴾

أعلن والجلة مائلة للطبع القرار رقم ٢٩٨٠ باتحاد دولتي حلب ودمشق باسم (الدولة السورية) ولها مجلس تمثيلي يتألف الآن من اجتماع مجلسي دمشق وحلب وهو يحلّ محلهما ومحلّ المجلس الاتحادي . ورئيس الدولة السورية يعيّن بالانتخاب بعد انتهاء مدة الرئيس الحالي آخر سنة ١٩٢٧ ويؤازره خمسة وزراء للداخلية والعدلية والمالية والمعارف والاشغال ويناط به اختيارهم واستبدالهم . وقد استاء السوريون مما جاء في المادة التاسعة من هذا القرار خاصاً بقطع صلة الاسكندرونة بولاية حلب مع بقاء ادارتها مرتبطة برئيس الدولة السورية

﴿ الجنرال فيغان بالقدس ﴾

قضى الجنرال فيغان الاسبوع الثالث من ربيع الثاني في فلسطين . والمفهوم مما نشرته التيمس وصحف فلسطين أنه حضر لغرض التعاون بين السلطتين الفرنسوية والبريطانية ولا سيما فيما يتعلق باقرار السكينة على حدود البلادين، والقضاء على العصابات في الجانب الشمالي من شرق الأردن ، وللمذاكرة فيما يشكوه الفرنسويون من تعضيد انكلترا (!) لفكرة الجامعة العربية ودوره الخطر الوهابي عن سورية وفلسطين فيما لو استفحل أمر ابن سعود ، والاتفاق على خط حديدي يمده الفرنسويون من حيفا الى بيروت تلقاء تنازلهم لفلسطين عما بين الحمة ونصيب من الخط الحجازي

﴿ جزيرة العرب والفنون العصرية ﴾

قال الامير شكيب في مقال له في (الاهرام) بهذا الموضوع : ان الامام يحيى ابن محمد حميد الدين والسلطان عبد العزيز ابن سعود هما المسئولان أمام الله وأمام الامة العربية وأعقابهما فيما لو انبسط الجناح الاجنبي في يوم من الايام على هذه الجزيرة ، اذ ان كلاً منهما يملك من المال ما يكفي لتأسيس معمل أسلحة . وعلى فرض أنه لا يملك كل المبلغ دفعة واحدة فلا يصعب عليه فرض ضريبة خاصة بهذا المشروع . ثم قال : ان الدنيا مؤلفة من مادة ومعنى فالمعنى عامر في نجد بحول الله فلتعمر المادة أيضاً ، ولتأخذ جزيرة العرب بالفنون الحديثة التي اذا انضمت الى الفضائل المعنوية كانت البغية وقام الجمل